الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد ابن باديس-مستغانم-
كلية الأدب والفنون
قسم: الأدب العربي
فرع: دراسات أدبية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب قديم

بعنوان:

تجليات الحكمة في الشعر العربي "أبي تمام" أنموذجا

- من إعداد الطالبة:
- عزيرية هجيرة

- إشراف الأستاذة:
- بن يمينة زهرة

السنة الجامعية: 1439/1438 *** 2018/2017

الإهـــداء

أهدي جهدي و عملي هذا إلى من أنعمني بنعمة الصبر و التفاؤل وفتح علي أبوابه الفضيلة و الحمد لله الكريم أحمده و أشكره و إلى الوالدين الحبيبين أمد الله في عمرهما اللذين لم يبخلا علي بشيء و كانا بجانبي طوال المشوار دراستي و كانا سندا لي في كل خطوة خطوتها و بالأخص أمي الغالية.

و إلى من أتقاسم معهم حلو الحياة و مرها : إخواني و أخواتي و أبنائهم و إلى جدتي العزيزة و إلى كل أفراد عائلتي.

وإلى من شاركتني في هذه المذكرة "شهيناز" و أطلب من الله أن يوفقها في حياتها و كل زملائي .

وإلى أستاذتي المشرفة "بن يمينة زهرة" التي استفدت الكثير من ملاحظاتها و توجيهاتها ، ولا أملك إلا الدعاء لها بأحسن الجزاء في الدنيا و الآخرة.

تعد الحكمة فن من الفنون الأدب العربي، تهدف إلى النصح و الإرشاد و الموعظة و تأتي تعبيرا عن تجربة ذاتية و عن طول تأمل و تبصر بالأمور الحياة ، فنجد الشعر العربي قد زخرف بالحكم المستمدة من واقع الحياة العربية ، بالإضافة لما بالإضافة لما استمده الشعراء العرب من الكتب المترجمة الغنية بالأمثال و بالأدب ، فاقتبسوا منها و نظموا على منوالها.

ضمن بين هؤلاء الشعراء المبدعين الذين أجادوا في الحكمة و استفادوا من تلك الثقافات الأخرى اخترت الشاعر (أبا تمام) فأدركت دون كبير عناء أن الشاعر يتوافر على رؤية خاصة و نظرات في الحياة جسدها في شعر الحكمة بصورة خاصة، علما بأن هذه الحكم لم ترد مستقلة بقصيدة و إنما جاءت في ثنايا نصوصه الشعرية.

اللافت للنظر ، أن الشعر الحكمة عند أبي تمام ليس مجرد خطوات فكرية اهتدى إليها الشاعر ،بتأملاته و تجاربه بل وعاء انصهرت فيه الثقافة الواسعة التي سادت عصره، و التي شملت الدين والفلسفة و المنطق و حقائق علوم أخرى ، هذه الثقافة التي استوعبها الشاعر فكانت خير رصيد انتهل منه إنتاجه الشعري.

بالتالي، فإن شعر الحكمة عند أبي تمام فيض من نفس حساسة ، اعتملت فيها الأحداث و أثرت فيها التجارب ، فعبرت عن واقع التجربة عليها تعبيرا إنسانيا يعكس للناس مدى تأثرها و انفعالها و استجابتها وتعليلها للأحداث تعليلا يقرأه الناس ، ولعل هذا ما جعل النقاد و مؤرخي الأدب يعتبرون أبو تمام الشاعر الحكيم، فحاولت التعرف على الحكمة وأنواعها فكانت إشكالية البحث كالتالي : ما المقصود بالحكمة ؟ وما هي مصادرها و أنواعها ؟ و خاصة موضوعات الحكمة التي احتوت في شعر أبي تمام؟ انطلاقا من هذه التساؤلات و غيرها مما يثير الموضوع تظهر أهميته و التي بمكن جمعها فبما يلي : بأن مسألة هذا البحث تقود إلى تتبع مصادر الحكمة عند الشاعر ، مما يستوجب دراسة ملامح الفكرية و الفنية للوقوف على مدى خصوبة غرض الحكمة عند أبي تمام، و مدى توافر البعد الفني في صوغ هذه الحكم فكانت الأهمية سببا و دافعا أساسيا في تحريك هدا البحث و تبيان أهدافه.

فمن بين الأسباب التي كانت سببا في اختياري لهذا الموضوع هي معرفة الحكمة بصفة عامة و كل ما تختص به من مناهل و أنواع و مصادر و خاصة في مجال الشعر العربي .

والتعرف على شعر الحكمة عند أبي تمام و مصادر تطورها ، خاصة توضيح موضوعات الحكمة التي تناولها الشاعر في ثنايا قصائده.

إذا كانت قد أشرت فبما سبق أن شعر أبي تمام قد تناولته العديد من الدراسات و عولج من زوايا مختلفة على سبيل المثال لا حصر – "محمود شاكر سعيد" في كتابه " شعر الحكمة عند أبي تمام" ، و بتكون هذا الكتاب من ثلاثة أبواب و قد تناول فيها الحكمة في قصائد الشاعر، و ملامح شخصية أبي تمام ز مصادر الحكمة في شعره.

أما فيما يخص المنهج المتبع اعتمدت على المنهج النقدي و الوصفي مع استئناس ببعض المناهج الأخرى كالمنهج التاريخي في ترتيب الأحداث وردها إلى أصولها كما اعتمدت على المنهج التحليلي في استخراج الحكم في شعر أبي تمام و تحليلها في ثنايا قصائده.

وتجسيدا لتصور موضوع هذا البحث ،فقد اهتديت إلى رسم الخطة الآتية:- المدخل و فيه تناولت الحديث عن نشاه الحكمة في الشعر العربي بإبراز لأهم أعلامه و الخصائص بصورة موجزة،و بعد هذا المدخل الذي يتمحور حول إيضاح الحكمة في العصور الثلاثة، ارتأيت أن أطرق بحثي هذا إلى فصلين مبنية على النحو التالي:

الفصل الأول: وفيه تحدثت عن الحكمة في المورث العربي و أشارت إلى المدلول الحكمة في الحقل اللغوي و في مختلف حقول المعرفة، عن طريق تتبع تطورها و ذالك إيضاحا لمفهوم الحكمة في الشعر العربي الجاهلي و الإسلامي و عن مصادر الحكمة في العصر العباسي، و لما كانت الأشياء تعرف بالرجوع إلى أصولها ، فقد كان هذا البحث خاصا بالحديث عن مصادر الحكمة في العصر العباسي و هذه المصادر التي أراها تتمثل في مصدرين هما :المورث الثقافي و التأثيرات الأجنبية.

أما **الفصل الثاني** و قد خصصته لدراسة و تحليل الحكمة عند أبي تمام ، و قبل هذا تحدثت عن حياته ونشأته و ثقافته ، و عن أهم أغراضه الشعرية،ثم تطرقت إلى مصادر و تطورت الحكمة في شعره التي لها معان عميقة و أدلة منطقية تقدم على التعليل المنطقي و

الأسلوب الفلسفي من خلال مشاهداته و ملاحظته في الواقع والتأمل في الحياة وطبائع البشر، حيث توقفت الحديث عن موضوعات الحكمة عند الشاعر فقد و جدت أن الحكمة هي عبارة عن قيم إنسانية ، و أخلاقية و دينية تنساب إليها العقول و القلوب .

وقد أنهيت البحث بخاتمة حاولت أن أجعلها خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال مكتبة البحث ، و فهرس الموضوعات، ليس يخفي على أحد أن البحث معاناة وجهد يكابدهما كل من خاض تجربة البحث العلمي و قد واجهتني بعض الصعوبات مثل صعوبة الحصول على بعض المصادر و المراجع حيث كنت أنتقل إلى المكتبات الجامعية و كل هذه المساعي تتطلب شيئا غير قليل من الجهد ، لكن استطعت بعون الله و رعاية الأستاذة المشرفة التي لم تذخر جهدا في سبيل توجيهي توجيها سديدا و تشجيعي، أن أنهي هذا العمل الذي أرجو أن أكون قد وفقت في أدائه بالشكل الذي يستوجب للبحث العلمي .

و إذا كنت أشعر بالراحة النفسية لهذا الإنجاز الذي أتشرف بوضعه بين أيدي السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة فإني آمل أن أستفيد من توجيهاتهم و ملاحظاتهم للارتقاء بمستواه إلى ما هو أحسن.

و انطلاقا من قول النبي صلى الله عليه و سلم " من يشكر الناس لا يشكره الله عز

و جل " رواه الترمذي. فأتقدم ببعض التشكرات و قبل كل شيء نحمد و نشكر الله تعالى على العلم و الصبر و العقل...، و أتقدم بشكري الجزيل إلى مشرفتي الأستاذة "بن يمينة " و إلى قرة عيوني والديا و إلى كل من ساعدني ووجهني و لو بكلمة.

1/ الحكمة في العصر الجاهلي:

الحكمة فن من فنون الشعر العربي كانت مبعثرة في قصائد الشعر الجاهلي ثم نمت حتى أصبحت فنا مستقلا تنظم في القصائد الطوال. والمتفقد لشعر الحكمة في أثار الشعراء الجاهلي لا يجد له قصائد مستقلة بذاتها بقدر ما يجده يتخلل قصائدهم الشعرية وهذا أمر طبيعي حيث أن البيئة التي كان يعيش فيها الشعراء - آنذاك - محدودة النطاق لا تسمح لهم بشراء الفكر وخصوبة العقل فلا علم منظم عندهم ولا فلسفة إن كل ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدى معلومات أولية وملاحظات بسيطة.[1]

في سياق الحديث عن ضعف المنتوج الفكري العقلي في الشعر الجاهلي جدير بالذكر أن نقول بأن الشعراء في الجاهلية لم يكونوا أرقى عقلية وأصدق رأيا وإن كانوا أوسع خيالا. وإن طبقة الحكام كانت أرجع عقلا وأقوى تفكيرا وأبعد رأيا من الشعراء وأكثر في القول افتنانا.[2]

فقد بلغنا عدد وفير من شعر الحكم الجاهلية التي هي مستقاة من حياتهم وأخلاقهم وعاداتهم فالشعر الحكمي تمتزج فيه الحكمة بوجدان الشاعر وتصدر عنه ليعبر من خلالها عن وجهة نظره.[3]

وعندما يقبل القارئ على قراءة الشعر الجاهلي بنية البحث عن شعراء وردت في أشعارهم حكم بصورة بيانية واضحة فإنه يجد في شعر زهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد ما يغنيه من البحث، فعلا يعد هؤلاء الشعراء من أبرز الشعراء الجاهلين الذين أجادوا القول في شعر الحكمة في الشعر الجاهلي.

---

[1] أمين أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص48.
[2] يحيى شامي، موسوعة أروع ما قيل في الشعر العربي، دار الوارق للنشر والتوزيع، ج1، ط1، 1999، ص9.
[3] المرجع نفسه ص9.

1) مع حكم زهير بن أبي سلمى (627 م):

زهير بن أبي سلمى من الشعراء الذين عمروا طويلا حيث إنه عاش ما يقارب تسعين سنة، إليه كتب الأدب الصحيحة السند، والأمر كذلك أن تأتيه الحكم إرسالا وتنثال عليه معانيها انثيالا بعدما بلغ من العمر عتيا.[1]

والمتأمل في حكم زهير بن أبي سلمى يدرك بأن الشاعر قد عن فكره وما استخلصه من عبر وعظات من الحياة ولكن بعين الرجل البدوي الذي يكتفي باستخلاص العبرة دون أن يسلط عليها تفكيره.

- على العموم يمكن تصنيف حكم " زهير" من حيث معانيها على النحو الأتي:

1- حكم دالة على نظرة إلى الحياة كما في قوله:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِيشْ ثَمَانِينَ حَوْلا لاَ أَبَالَكَ- يَسْأَم.

وَاعْلَمِ مَا فِي اليَوْمِ وَالأَمْسِ وَقَبْلَهُ لَكِنَنِي عَنْ عِلْمْ مَا فِي غَدِ عَمِ.[2]

فالشاعر عمر طويلا، فتكبد مشاق الحياة وصعابها، وبالتالي مل الحياة بعد ثمانين سنة، وأنها عبء ثقيل لا يطاق احتماله، وأن الشيخوخة تضعف قدرات المرء، وتجعله يسأم من الحياة وهذه حقيقة واقعية يدركها العام والخاص.

2- حكم استوحاها من صميم تعامله مع الناس واكتشافه لطباعهم على نحو قوله:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورِ كَثِيرَةٌ يَضْرُسْ بِأَنْيَابِ وَيُوطَأْ بِمَنْسَم.

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلِ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يَسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُذَمِ.[3]

الشاعر هنا، يرى أن الإنسان الذي لا يظهر ليونة في معاملة الناس، فيعرض عن مصانعتهم ومدارتهم تحولوا إلى أداة للقهر والإذلال.[4]

---

[1] الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، بيروت، ط6،د،ت،ص46.

[2] الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، د.ط، 1969، ص181.

[3] المصدر نفسه، ص182.

[4] المصدر نفسه، ص182.

إذن نجد أن الشاعر في هذا البيت إلى عدم المصانعة نفاقا ورياء، بل يدعو إلى المصانعة من باب التعقل وبعد النظر، وإلى التعامل في الحياة الاجتماعية.

أما في البيت الثاني يخبرنا بأن الإنسان الذي توافرت أمواله وأستأثر بها دون قومه، فعزله قومه ورموه بالذم والشتم، إذن فخير للإنسان أن يجعل حظا للناس مما تتوافر لديه من فضل ومال، وبالتالي يكتسب الحب والاحترام.

- حكم فرضتها مبادئ المجتمع الجاهلي المبنية على العدوانية والاعتداء:

وَمَن ْلَم ْيَذُدْ عَنْ حَوْضِه ِبسِلاَحِه ِ يُهْدَمْ وَمَنْ لَمْ يُظْلَمِ النَاسِ يُظْلَمِ.[1]

يعني هذا البيت عن ظروف الحيات الجاهلية القائمة على القتل والقتال والاعتداء والعدوان حيث أن الذي لا يدافع عن عرضه ومن لم يسع إلى رد الظلم عن الناس وإبعاده عنهم على تعرض للظلم والعدوان وهذا ما كان سائدا في العصر الجاهلي، وبالتالي دعا الشاعر إلى ضرورة تضافر الجهود لرد الظالمين وعن كف الأذى، وهي نظرة صحيحة أكدت عليها الأمم.

3- حكم دالة على غوصه في النفس البشرية وإبراز حقيقتها:

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوْا صَدِيـــــــقَهُ وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ نَفْسَهُ لَمْ يُكْـــــــــرَمِ.[2]

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئ مِنْ خَلِيـــــــقَة وَإِنْ ْخَالَهَا تَخْتَفِي عَلَى النَاسِ تَعْلَمِ

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتْ لَكَ مُعْجَـــبِ زِيادَتَهُ أَوْ نُقْصَهُ فِي التَكَلـــــــمِ.

هذه الحكم نابعة من واقع الحياة الاجتماعية التي عاشها الشاعر فكان لفكره أن جاد بها علها تجد أذانا صاغية وقلوبا واعية فتهذب السلوك وتتقوم الطباع ومفاد هذه الحكم أن الغربة تجعل الإنسان ضعيف التمييز بين الناس حتى كأن العدو صديق، وإن الذي لا يوفر أسباب الكرامة لنفسه بما يبديه من حسن المعاملة واتصاف بالقيم الأخلاقية فأن الناس لا يعرفون له قدرا ولا كرامة، أما في البيت الثالث حكمة تدل

[1] المصدر السابق، ص184.

[2] المصدر نفسه، ص185.

على أن كثيرا من الصامتين يعجبك صمتهم فتستحسنهم وإنما يظهر فضل الإنسان أو عيبه عندما يتكلم.

وهذه الحقيقة أقرها الكثير من الشعراء والأدباء والمفكرين بعد زهير وها هو الأخطل يؤيده بقوله:

إِنَّ الكَلاَمَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَ اللِسَانَ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلاَ.[1]

ولعل ما يميز حكم زهير أنها حكم وليدة من عقل هادئ، يعاين الظواهر ويستخلص الدروس ثم يصدر الأحكام وفق رؤية بيئة جاهلية أهلها أميون لا يكتبون ولا مطبعون لا يتكلفون، وأقل من يكتب ويقرأ معا.[2]

ومعنى هذا القول أن البعد الحضاري في هذه البيئة لا يزال في مهده، وهذا ما يفسر كون حكم زهير لا تعد وان تكون تعبيرا عن خطرات فكرية أقرب إلى السطحية منها إلى نظرة تحرك موطن العقل فتأتي الفكرة حكمة مهمورة بالعمق وقد استوعبت الفنية الجمالية.

2) طرفة بن العبد (ت 558 م):

وهو من شعراء المعلقات عاش قليلا وله كثيرا وشقي طويلا، وكان غير مكترث بما يصيبه من نكبات الدهر، بل كان يستقبل كل ذلك باستخفاف يقرب من الازدراء وكأني به قد تنبأ بقول أبي الطيب المتنبي:

لاَ تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَى غَيْرِ مُكْتَرِثٍ مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ البَدَنُ.[3]

وقد كان له المال ما دفع به إلى طلب الملاهي والملذات، ومما زاده اندفاعا في ذلك أنه عاش يتيما، فتصرف بأمواله كما شاء وكان أن اجتمع حوله رفاق اللهو وطلاب الملذات ومازال يشرب ويسقي وينحر ويطعم حتى نفذ ماله ولم يبق له ما يسد

---

[1] البستاني، فؤاد أفرم، الأخطل، منشورات دار الشرق، بيروت، ط6، 1982، ص110.

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البيان والتبين، ت ج عبد السلام هارون، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ج3، ط5، 1966، ص 15.

[3] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين التبيان في شرح الديوان، مطبعة مصطفى الباين الحلبي وأولاده، مصر، ج4، د.ط، 1977، ص 234.

به رمقه فزاد أنغما سافي السكر والخلاعة، فصار مرغوبا عن صحبته، فكثر لوامه وتباعد عنه، سوى ناقته الأمينة الضامرة التي صورها صورة حية في معلقته، ثم ما لبث أن ارتحل عن قومه،[1] ضاربا في الأرض يبحث عن مقام يليق بشأنه وهو الشاب الكريم النسب، الفصيح اللسان، الجريء على القول والعمل، وكان الملك يعجب بشعره، وطرفة يفتخر ويتباهى وتدور الدوائر، فإذا ببلاط الحيرة يقلب له ظهره المجن فتسيء حاله، وينتهي به الأمر إلى الاغتيال.[2]

ومن خلال هذا الاستعراض السريع لمسار حياة طرفة يتبين لنا أن الظروف التي مر بها تؤهله لاستخلاص العبر من الحياة، وتبعا لذلك فقد وردت له حكم في ثنايا قصائد شعرية ومما ورد من حكم في معلقته نذكر قوله:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقلية مال الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفذ.[3]

الشاعر هنا في هذه الأبيات يثير الحديث عن الموت ويرى بأن الموت ظالم غير منصف ‘ذ هو يختار كرام الناس للفناء ويؤثر البخيل المتشدد بالبقاء، ثم يستدرك ويراجع نفسه فإذا هو يدرك أن حياة الإنسان في تناقص متواصل حتى تفنى وتزول لا محال وـن طال به الزمن.

وإذا ما تخطينا المعلقة وقرءنا ديوانه الشعري، فإننا نجد قريحة الشاعر تجود بما تيسر من الحكم تعبر عن تجاربه وخبراته في الحياة.

ففي مجال التكافل الاجتماعي والحرص على دعم رابطة القرابة يقول جازما:

وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل.[4]

كما يدعو الشاعر هنا إلى ضرورة المرء الاحتكام إلى عقله في كل ما يلتقط به من كلام وألا يكون أحمق فينساق وراء لسانه فتنكشف عيوبه للأخرين.

---

[1] الزوزني، شرح المعلقات السبع،ص 109.
[2] المرجع السابق، ص109.
[3] طرفة بن العبد، الديوان، تح، عبد الله الجبروري، بيروت، د.ط، 1982.ص 61.
[4] الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 141.

من الشعراء الذين أجادوا القول في شعر الحكمة بصورة بيانية واضحة نجد كذلك :

لبيد بن ربيعة (661-41هـ):

وهو أبو عقيل لبيد بن ربيعة تصفه المراجع الأدبية بأنه سيد وقور، وشاعر مشهور، وحكيم مجرب، وهو حكيم مجرب حقا، لأنه عمر طويلا، حيث زاد عمره عن مئة وعشر وهو القائل:

أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر.[1]

وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام وكان يتصف بمكارم الأخلاق، يغيث الملهوف، وينجد الضعيف ويقري الضيف قال الشعر في أغراض كثيرة وكان يترفع على التكسب بشعره، ولما أسلم قل نظمه للشعر، وبهذا يقرد طه حسين وأكبر ظني أن لبيدا أعرض عن الشعر في الإسلام، فلم يتخذه صناعة ولم يكثر من إنشائه وإنشاده، وانصرف عنه إلى القرآن.[2]

- وما يهمنا - بطبيعة الحال - من شعر لبيد هو ما قاله في غرض الحكمة وإذ ما قرءنا شعر لبيد باحثين عن أثار الحكمة فلن نجد أفضل من عينيته التي يرثي فيها أخاه من أمه أربد ابن قيس ففي هذه القصيدة تظهر نظرته إلى الحياة وتفكيره فيها وإعراضه عنها وزهده فيها وهو قائل:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت في الكناف دار مضنة ففارقني جار بأربد نافع
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا فكل أمريء يوما له الدهر فاجع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع.[3]

وحكم الشاعر في هذه الأبيات وفي غيرها، لا تدعوا قارئه فكرة لإدراك المعاني التي أراد أن يعبر عنها، ويدعو إلى التأمل معه في هذه الحياة التي تفتك يوميا بالإنسان، وأن المظاهر الطبيعية من جبال ونجوم تبقى وراءه ثابتة وان هذا الاستقرار

---

[1] فؤاد أفرم البستاني، لبيد بن ربيعة، المطبعة الكاتولوكية، بيروت، ط9، 1973،ص 241.
[2] المرجع نفسه، ص 242.
[3] حسين طه، حديث الأربعاء، القاهرة، دار المعارف، ج1، ط12، 1976، ص 47.

الذي لا يقوى عليه الإنسان حيث أن مصيره الفناء والزوال، طال الأمد أم قصر، ثم يصبح نسيا منسيا.

وفي مجموعة أخرى من الحكم يعبر عنها لبيد عن نعيم الحياة الدنيا إذ كل شيء فيها باطل وكل نعيم بها زائل -لا محالة- ما عدا الله عز وجل وما يصدر عنه من نعيم كنعيم الجنة.

ألا كل شيء ما حلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل.[1]

وفي ضوء هذه النماذج من شعر الحكمة عند لبيد يتبين لنا أن حكمته ناتجة عن نظرة إلى الحياة استوحاها من البيئة البدوية البسيطة التي عاش فيها، وعن تجربة وخالص الخبرة وذلك تماشيا مع المحيط الذي كان يعيش فيه.[2]

2- الحكمة في العصر الإسلامي والأموي:

عندما ظهر الإسلام عمل على رفع مستوى العقلية العربية، وكان تعالمه أن أثرت تأثيرا كبيرا في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق، وتغيرت مقومات الحياة، وكان النزاع قائم بين من أسلموا وبين من لم يدخلوا الإسلام.

ولقد كان من أثر الإسلام في العقلية العربية أنه ما كادت تنزل آيات القرآن الكريم التي تقول:" اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق.." سورة العلق، الآية (1-2) ، حتى أخذ المسلمون ينظرون إلى العلم وأثاره نظرة جديدة، وكان القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) أثر محمودة في الدعوة إلى التأمل في الكون واحترام العقل.[3]

---

[1] الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 89.

[2] طلس محمد أسعد، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، د.ط.د.ت، ص 94.

[3] هيكل، محمد حسين، حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية، مصر ط9، 1965، ص 147.

وهذا الأمر جعل المسلمين إلى إقبال على قراءة القرآن فكانوا يتدارسونه وعلى الحديث يجمعونه وعلى ثقافة الأمم المفتوحة يأخذون منها، وأخذوا الكثير من العلوم التي ازدهرت في ظل الإسلام.[1]

ولما جاء الإسلام زاد هذا الاتجاه رونقا وصوابا وقد رأينا أن لفظة الحكمة تتردد في القرآن الكريم، بالإشادة والتنويه على نحو ما جاء في قوله تعالى: " يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذكر إلا أولو الألباب" سورة البقرة الآية: (269).

والحكمة عند الرسول صلى الله عليه وسلم من أعز ما يطلب الحكمة ضالة المؤمن حيث وجد ضالته فليجمعها إليه.[2]

وبالتالي نجد أن العرب المسلمين بإدراكهم منزلة الحكمة في القرآن الكريم والحديث الشريف قد نضج تفكيرهم إلى إجهاد عقولهم لإثبات ذاتهم بالتفكير الجاد والحكمة البليغة، وظهر حكماء في صدر الإسلام.

ومن الحكماء العرب المسلمين نذكر الإمام علي بن أبي طالب(41هـ) كرم الله وجهه وهو الإمام التقي الورع الزاهد في الدنيا المرغب في الآخرة، يحب الفضائل ويعشق المكارم، واستخلص العبر والمواعظ في خير الحياة حلوها ومرها، فسجل الحكم الخالدة، استمد معانيها من الدين الإسلامي وتدعوا إلى استعمال العقل.[3]

ومن المعروف أن حكم الإمام علي رضي الله عنه مرجعتها كتاب نهج البلاغة الذي جمعها فيه الشريف الرضي وهو من سلالة الغمام، حفظ القرآن الكريم وكان عالما، كالخاصة من رجال عصره ومحيطه بكثير من الحكم البليغة، صحيح أن نهج البلاغة ليس ثابتا كله لعلي بن لأبي طالب حيث يمكن رواده وتناقله غير وبدل في جمله وخطبه، يحصل لكل أثر أدبي.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 133.

[2] عكاوي، رحاب لأليئ الحكم، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2003،ص 09.

[3] حسن، حسين إبراهيم، زعماء الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د.ط.د.ت، ص 69.

[4] عبد الحسن، الأغراض الاجتماعية، في نهج البلاغة، المكتبة الأنجلوسكسونية، ج2، د.ط، 1960، ص 373.

ومهما يكن من أمر، يبق الإمام علي بن أبي طالب قطبا هاما من أقطاب الحكمة في عصر صدر الإسلام، وجاءت الحكمة عنده وافرة المعنى، جميلة المبنى تبقى على مر العصور.

ومن حكم الإمام علي كرم الله وجهه: " أكثر مصارع تحت بروق المطامع وإذا أراد تبيان حقيقة الغافل قال لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه وإذا فكر في أن ألحق فوق القوة صورت مخيلته مظاهر البطش فقال من صارع الحق صرعه وأولى الناس بالعفو على المذنبين".[1]

فهو هنا يصور لنا مصارع ومصائب البشر العديدة ونتائج أهوائهم السيئة.

ومن الشعراء الذين أجدوا الحكمة في هذا العصر نذكر كعب بن زهير (24هـ) الذي رأى النور في غطفان قبيلة أمه عبشة، قد نشأ في بيته يكتنفه الشعر من كل جانب حتى يقول ابن فتية: " لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير"[2] وأرسل كعب للحكم وارد في شعره بدءا من البردة التي جاء فيها:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل.[3]

فالحكمة الواردة هنا في البيت إن الأماني والأحلام تضليل صادر عن حقيقة معروفة بالحياة الجادة التي لا تستحب للأماني المعسولة ولا لأحلام الكسلاء النائمين.

وقوله:

فقالت خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول.

أما الحكمة الواردة في هذا البيت أن لكل ما قدر الرحمن مفعول فالشاعر فيها متأثر بتعاليم القرآن الكريم إذ أن مضمون هذه الحكمة أقرب إلى قوله عز وجل:"

---

[1] عبد المنصور، عبد الفتاح الإمام علي بن أبي طالب، دار الفكر العربي، بيروت، د.ط.د.ت، ص 126.

[2] ابن فتية، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار المعارف، القاهرة، د.ط.د، 1967، ص 57.

[3] البستاني فؤاد أفرم، كعب بن زهير، المطبعة الكاتولوكية، بيروت، ط6، 1973، ص 131.

كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول كن فيكون".سورة آل عمران الآية(47).

ومعنى هذا أن تعاليم القرآن تركت بصماتها على حكم الشعراء في هذا العصر.

ومن حكمياته التي وردت في رأيته:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر.

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر.

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر.

ومثل هذه الحكم يعبر بها الشاعر عن حقيقة النفس البشرية في سعيها ومشاقها ومواقف القدر وأحكامه من هذا السعي وهي على أية حال حكم مستوحاة من نظر ثاقب وتفحص للحياة.

عندما ننتقل إلى العصر الأموي بتسليط الضوء على أدباء جنحوا إلى أدب الحكمة بصورة بيانية واضحة، فلا نجد من ينافس عبد الله بن المقفع(106هـ-145هـ) وهو فارسي الأصل نشأ بالبصرة في ولاء آل الأهثم وهم قوم معروفون بالفصاحة، وخالط الأعراب وأخذ عنهم كما تلقى العلم والأدب على يد العلماء البصرة وأدبائها وقد تقلب أبن المقفع الكتابة لعدد من الولاة، فكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة وكان يزيد واليا لمروان بن محمد أخر خلفاء بني أمية.[1]

وبالإضافة إلى ترجمته لكتاب كليلة ودمنة في ميدان الحكمة نجد كتابية الأدب الصغير والأدب الكبير، وإن الذي يهمنا الحديث عنه في هذين المؤلفين هو الباب الثاني من كتاب الأدب الكبير حيث فيه أقوال الحكماء في حسن العلاقة بين الناس والتأديب في معاملة الأصدقاء وابن المقفع من الأدباء الذين كانوا يرون بأن الحياة للإنسان لا تستقيم ولا ينهض بها أحد دون صديق، إن الصديق الجدير بهذا الاسم عدة في الشدة وقبس هداية في حلكة الأيام ومعين على نوائب الدهر وهذا ما جعل عبد الله بن المقفع يهتم بالصديق لأجل ذلك أثقل في شروط الصديق ونصح بالدقة التامة في

[1] أحمد ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، ط10، د.ت، ص 199.

اختياره ومما يوصى به العاقل تجنب الهزل والادعاء وضبط أهواء النفس وحب السخاء إلى غير ذلك من النصائح الرائعة.[1]

إننا نجد في الكتابين الأدب الصغير والأدب الكبير الأثر الفارسي واليوناني والهندي الأمر الذي جعل الحكم الواردة في المؤلفين ذات قيمة فكرية وأخلاقية من شأنها ترشيد القارئ وتنوير عقله.

وأما الحكم التي كانت تتخلل القصائد الشعرية في العصر الأموي فلم تكن تختلف - عموما - عن تلك الواردة في قصائد كعب بن زهير.[2]

3- شعر الحكمة في العصر العباسي الأول (132هـ- 334هـ):

إن أهم ما يميز العصر العباسي في المجال الفكري هو النزعة إلى التجديد حيث علت المناداة بمذهب التخير أي تخير أحسن ما في الحضارات وقد كان لهذا المبدأ آثار محمودة على العقل العربي، إذا تفتح على ثقافة[3] الحضارات المجاورة له من فارسية ورومية ويونانية وهندية، فحصل تمازج بين الثقافة العربية وثقافة هذه الحضارات الأعجمية وقد انعكس هذا التمازج إيجابا على العقل العربي مما أدى إلى ازدهار الحياة الأدبية وكان أن امتاز الأدباء في هذا العصر بالأصالة والإبداع والتجديد في الشعر والنثر وذلك نتيجة لصلة الأدباء بالمنطق والفلسفة وترتب عن هذه الصلة امتزاج العقل بالعاطفة في الكثير من الآثار الأدبية لهذا العصر سواء كان منها نثرا أو شعرا وهكذا تزايدت القصائد الشعرية التي تزدحم فيها الحكم أو إثارة قضية فلسفية وكأن الشعراء في هذا العصر أصبحوا يخضعون شعرهم للعقل أو الفلسفة أو المنطق ويكفي أن نرجع إلى بعض قصائد بشار بن البرد وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام لنقف على هذه الظاهرة التي أصبحت تطبع الشعر العربي في بداية هذا العصر العباسي.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 200.
[2] المرجع نفسه، ص 201.
[3] ضيف شوقي، العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف، ط8، 1974، ص 89-90.
[4] المرجع نفسه، ص 90.

فها هو بشار بن البرد وهو يتحدث - مثلا- عن الصداقة والصديق متأثرا على ما يبدوا بما كتبه ابن المقفع في كتابه الأدب الكبير، نراه يستلهم الكلامين في قوة البرهان والحجة، فإذا هو يقول:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه.[1]

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه.

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفوا مشاربه.

والنزعة العقلية غير خافية في معاني هذه الأبيات، فكثرة العتاب تعدم [2] الصديق بالضرورة، والإعراض عن شرب الماء على القذى يعدم الارتواء و يورث العطش وسامع هذا الكلام يمتثل - منطقا- لقبول عيوب الصديق إن أراد ألا يعيش واحدا، والوحدانية مصدر المضار.[3]

وهذا المنطق في الخطاب نجده - أيضا- في نصحه لإبراهيم ابن عبد الله العلوي الفاطمي.

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم.[4]

وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم.

وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة شبا بحرب خير من قبول المظالم

فإنك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العلياء بغير المكارم.

فأثار التفكير المنطقي بارزة - هي الأخرى- في هذه الأبيات فمشاورة القوي لمن هو دونه مكانة ومنزلة وليست غضا من مكانته أو منزلته وزيادة في الإقناع يأتي الشاعر بالبرهان على صحة هذا الإدعاء حيث إن الخوافي وهي الريش الصغير في جناح الطائر سند للقوادم في الطيران، فالمشاورة انطلاق وتحرر وبالمقابل فإن

---

[1] فروخ، عمر، بشار بن البرد، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت، ص 17.
[2] حسين طه، الحديث الأربعاء، ج2، ص 209.
[3] المرجع نفسه، ص 209.
[4] المرجع نفسه، ص 209.

الاستبداد بالرأي قيد وضعف ويعود ثانية لإقامة الدليل قائلا بأن الكف المغلولة بأختها والسيف المجرد من قائمة لا فائدة منهما ثم يدعو مخاطبه إلى الحرب إن وقع مطية الظلم فإعلان الحرب ليس إعلانا عبثا وإنما هو نتيجة حتمية للظلم حيث إن الظلم - منطقا- يولد الحرب وعزة المرء مفطورة على قبول الحرب بأهوالها خير من قبول الظلم والعدوان قرين الذل والهوان.

وفي موضع آخر، يتعرض بشار بن برد إلى مسألة القضاء والقدر وضرورة الإيمان بهما منتهجا أسلوب المنطق يقول:

إن الطيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع مقدور أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبري مثله فيما مضى؟

إلا لأن الخلق يحكم فيهم من لا يرد ولا يجاوز ما قضى.[1]

إذا ما تفقدنا أشعار أبي نواس في الزهد - خصوصا- وأبي العتاهية في أرجوزته ذات الأمثال وابن الرومي وغيرهم من الشعراء نتبين بجلاء هذا التيار الثقافي، القائم على المزج بين العقل والعاطفة، والذي أخذ يعم الفكر العربي وإذا بإرضاء العقل والعاطفة معا في الأدب يصير تقليدا عند معظم الشعراء.[2]

لا يمكن أن نختم الحديث عن هذا التيار الثقافي الجديد الذي جعل الأدباء عامة والشعراء خاصة يطلبون اللذة العقلية في هذا الفن أمثالهم أبي تمام وهو الشاعر يقتضي المعاني وينزل إلى أعماقها، وكذلك أبو الطيب المتنبي (303هـ- 354هـ) فهو من هؤلاء الشعراء الذين أطلعوا على هذا المنتوج الشعري وتأثروا به.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 62.

[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1974، ص 241.

[3] البديعي يوسف، الصبح المنبي عن حيشية المتنبي، ت.ح: مصطفى السقا، محمد شتا، عبد زيادة عبده، دار المعارف ، القاهرة، ج3، ط3، 1994، ص 143.

فمن الثابت الذي لا سبيل إلى رده أن أبا الطيب تفحص شعر الطائين وفي مقدمتهم أبو تمام الذي كان محط إعجابه حيث قال فيه: أنا وأبو تمام حكيمان، أما البحتري يضيف معترفا بمنزلة أبي تمام الشعرية أو يجوز للأديب أن لا يعرف شعر أبي تمام وهو أستاذ كل من قال الشعر بعده[1].

[1] المصدر السابق، ص 143.

1- الحكمة في المعاجم العربية لغة واصطلاحا:

تعرف المعاجم اللغوية (الحكمة) تعريفا يربطها بكل ما يتصل بالمعرفة والتدقيق في كنه الأمور العارضة للإنسان، وهي وسيلة وغاية في نفس الوقت، فجاء في اللسان: (قيل الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم)،[1]فغاية الحكمة المعرفة الدقيقة بكل ما يتصل بالعلوم والمنافع فهي معرفة غير محددة، معرفة تتصل بأمور الدنيا وأمور الدين، وكل ما يعمل معنى الخبرة المكتسبة من الملاحظات العميقة للأشياء أو المستخلصة من التجارب المكتسبة من الملاحظات وكل ما يفيد معنى العلم والرأي الصائب.

فالحكمة " ذات حدود واسعة، بل لا نكاد نجد لها حدودا معينة فاصلة، فقد شملت أمورا كثيرة".[2]

ويذهب الزمخشري: إلى أن اللفظة مشتقة في معناها من قولهم حكم الفرس وأحكمه وضع عليه الحكمة، وفرس محكومه ومحكمة، فقال زهير بن أبي سلمى:[3]

قد احكم تحكمات القدر والابقا.....

ويؤكد شمول التعريف لأمور الدنيا والدين فيقول في معنى اللفظة، حكموه جعلوه حكما، وحكمه في ماله فاحتكم وتحكم، ولا تحتكم على، وفي الحديث أن الجنة للمحكمين وهم الذين حكموا في القتل أو الإسلام، فاحتاروا الثبات على الإسلام، ورجل محكم مجرب منسوب إلى الحكمة، وحاكمته إلى القاضي رافعته، وتحاكما إليه واحتكاما، وهو يتولى الحكومات ويفصل الخصومات، والصمت حكم أي حكمه، وحكم الرجل مثل حلم أي صار حكيما..وأحكمته التجارب جعلته حكيما".[4]

---

[1] إبن منظور، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصورة عن طبعة بولاق، ج1، ط4، 1999، مادة حكم، ص 30.

[2] جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ج8، د.ط.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، دار الصادر بيروت، د.ط، 1965، ص 137.

[4] المرجع ، ص 137.

ومثل هذه المعاني تتردد في المعاجم اللغوية العربية بما يجعل اللفظة شاملة للمعرفة الدقيقة بكل ما يتصل بأمور الدنيا والدين من معارف وتفاصيل.[1]

ويروي ابن منظور: عن الجوهري قوله: " الحكمة من العلم والحكيم، العالم وصاحب الحكمة، وقد حكم أي صار حكيما، قال النمر بن تولبا:

وَيَا غَضَ بِغَيْضِكَ بَغْضا رُوَيْدا إْذَا أَنْتَ حاَوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

أي إذا حاولت أن تكون حكيما" .[2]

وفي تاج العروس الحكيم المصيب برأيه الذي يقضى على شيء بشيء وهو الذي يحسن دقائق الصناعات. [3]

وقد عرفها الراغب الاصفاهاني بأنها: " إصابة الحق بالعلم والعقل".

وبهذا المعنى جاءت الحكمة في معجم مقاييس اللغة إلى أن الحكمة تمنع من الجهل والجهل لا يعني السفه والغضب والطيش وكل سلوك يبعد عن الأخلاق القويمة، والحكمة تمحو عن صاحبها كل هذه الصفات وترقى به إلى مصاف الحلم والأناة وهذا هو المفاد من شرح الحكمة في هذا المعجم. [4]

وعندما نبحث عن الأصل اللغوي للفظ الحكمة نرى صاحب متن اللغة يذكر أن الحكمة مصدر الفعل حكم حيث جاء حكم، يحكم، حكما، وحكمة، صار حكيما، والحكيم العالم، صاحب الحكمة.

الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، معرفة الموجودات وفعل الخيرات، معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

---

[1] **فيروس أبادي، قاموي** المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، ج4، د. ط. د. ت، ص 98.
[2] أبن منظور ، لبان العرب، مادة حكم، ص 30.
[3] الزبيدي، تاج العروس.
[4] أبن فارس الزكريا، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار احياء الكتب العربية،ط1، 1366هـ.

وعليه فإن التعريف الذي نجده للحكمة في هذا المعجم يلتقي مع التعريف الذي ذهب إليه ابن منظور في اعتبار الحكمة معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وكذلك الحكمة العدل وصاحب متن اللغة يرى الحكمة في إصابة الحق، وإصابة الحق ضرب من العدل.[1]

وأما المعجم الوسيط في تعريفه للحكمة فإنه لا يخرج هو الأخر عن اعتبارها معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وبأن الحكمة العدل وهو بذلك يجاري لسان العرب غير أنه يتتبع مختلف استعمالات اللفظ في الحقل اللغوي فيذكر أن الحكمة العلة يقال حكمة التشريع وما الحكمة في ذلك؟ إلى أن يصل إلى أن الحكمة الكلام الذي يقر لفظه ويجل معناه ج حكم.[2]

[1] رضاء أحمد، معجم متن اللغة، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة،د.ط، 1958.
[2] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1972.

وورد في معجم الألفاظ والأعلام القرآنية:

حكم بالأمر وللرجل أو عليه وبين الناس قضى وفصل بالأمر، وحكم حكمه صار حكيما وحكمه أقام حاكما.

حكمه في الأمر أي فوضه حاكمه خاصمه، وأحكم الشيء أي أتقنه وتحكم الأمر قبل التحكيم واستحكم الأمر أي تمكنه وصار محكما ومتقنا والحكمة العلم مع العمل والعدل أي كل ما يتحقق صوابه، من القول والعمل والحكيم صاحب الحكمة. [1]

ب- اصطلاحا:

لقد تنوعت أراء كثيرة في تحديد دلالة لفظة الحكمة فذهب بعضهم إلى أنها كلام موافق للحق.

وبعضهم عرف الحكمة بأنها الرأي السديد الذي يسلك صاحبه المسلك الصائب وهي بهذا المفهوم أسبق من الفلسفة والدين...لأنها الدراية بأمور الحياة. وما بعدها ...وهو معرفة الحق لذاته والخير من اجل العمل به وهي من التكاليف الشرعية.[2]

والحكمة هي إحدى الفضائل الرئيسية الأربع... وتعني قوة الروح... فهي مرادفة للعلم، والحكمة لدى العرب الجاهلية كانت وليدة الخبرة المحدودة التي تصورها عبارة قصيرة.[3]

عموما فالحكمة هي كل كلام موجه إلى الإنسان في سبيل هداية أو إرشاد أو تقديم اعوجاج، وذلك ضمن نطاق الحياة العملية والتصرف في حقلي الدين والدنيا، وقد جرت العادة في الأدب أن تكون عبارة موجزة ذات مغزى أخلاقي، أي أن تكون ما يسمونه جوامع الكلام وجوامع أقوال مرصوصة موجزة العبارة غنية المعنى سهلة الحفظ التركيب فيها متماسك الأجزاء، مترابط الألفاظ، توحي فيها اللفظة باللفظة

---

[1] محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، ط1، 1998، ص 132.

[2] عبد الله البستاني، معجم البستان.

[3] المرجع السابق، ص 132.

وتسوق فيها الكلمة بالكلمة في تناغم موسيقي وتجاوب صوتي، وهي تهدف إلى توجيه الحياة في طريق الفطنة والاستقامة.[1]

يمكننا أن نعرف الحكمة في الشعر بأنها تلخيص الفكر العميق باللفظ الدقيق في دلالته على المعنى ، أو تضمين الأبيات القليلة معاني جليلة.[2]

وإن القائل للحكمة عادة ما يكون شخصا ذا خبرة في الحياة والتبصر بأحوالها وأنه ينطق بها في مناسبة من المناسبات أو في حادثة من الحوادث ويتعلق بها الناس ويتناقلون يوما بعد يوم، بل وقرنا بعد قرن من الزمن، ولذلك أصبحت جزء مهما وركنا أساسيا في أدبنا ولغتنا العربية.[3]

2- مواضيع ودلالة كلمة الحكمة في القرآن الكريم:

وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواضيع متعددة:

أ- السور المكية:

*** سورة النحل:** يقول تعالى:" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " سورة النحل، الآية (125).

بالحكمة أي بالمقابلة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضع للحق المزيل للشكوك، والموعظة الحسنة أي هي التي لا تخفي عليهم انك تنصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها.

*** سورة الإسراء:** يقول تعالى:" ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا" سورة الإسراء، الآية (39).

---

[1] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، م1، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة ومنقحة ومزيدة، ط2، 1991-1411، ص 57.

[2] محمد الراشيمري، تلخيص السيد محمد الحسيني، منتخب ميزات الحكمة، مركز الطباعة والنشر، دار الحديث الثقافية، ط2،2001-1422،ص100.

[3] محمد سامي منير، بلاغة الأمثال وفصاحة الحكمة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص14-15.

ذلك مما أوحي ربك من الحكمة أي ذلك الذي يقدم من الآداب والقصص والأحكام بغصة الذي أوحى له إليك ربك يا محمد من المواعظ الحسنة.[1]

* **سورة لقمان:** قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيد " سورة لقمان، الآية (12).

أي أتينا لقمان الفقه في الإسلام ولم يكن نبيا ولم يوحي إليه والحكمة من المعنى الفهم والعلم والتعبير.

* **سورة ص:** قال تعالى: " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ" سورة ص، الآية (20).

وأتينا الحكمة أي النبوة والفهم والإصابة في الأمور.[2]

* **سورة الزخرف:** يقول تعالى: " وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" سورة الزخرف، الآية (63).

جاءهم بالحكمة والبيان ترغيبا لهم في وعي ما سيلقيه إليهم من تفاصيل الدعوة، والحكمة معرفة ما يؤدي أي الحسن ويكف عن القبيح وهي هنا بالنبوة وقد جاء عيسى عليه السلام بتعليم حقائق من الأخلاق الفاضلة بالمواعظ.[3]

* **سورة القمر:** قال تعالى: " حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ " سورة القمر، الآية (5).

---

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد2، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981، ص106.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد1، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981، ص 130.

[3] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، م الثالث، ص 54.

الحكمة وردت بمعنى أتقن الفهم لإصابة العقل والمراد هنا الكلام الذي تضمنه حكمة وتفيد سامعه حكمة فوصف الكلام بالحكمة مجاز عقلي تثير الاستعمالات البالغة الواصلة أي واصلة المقصود.

*** سورة البقرة:** يقول تعالى: " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " سورة البقرة، الآية (129).

أي يعلمهم القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة.[1]

*** سورة آل عمران:** قال تعالى: " وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ**"** سورة آل عمران، الآية (48).

والحكمة هنا بمعنى السداد في القول والعمل أو سنة الأنبياء.

و يقول في موضع أخر: " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ " سورة آل عمران، الآية (81).

يخبر الله تعالى أن ميثاق كل شيء بعثه من بدء أدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام كما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة ومبلغ ثم جاء رسولا من بعدهم ليؤمن به ولينصرنه، ولا يمنعه بما هو فيه من العلم والنبوة من إتباع بعث بعده ونصرته كتاب وحكمة أي كلها أعطيتكم من كتاب وحكمة.[2]

* سورة النساء: قال تعالى: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا "سورة النساء، الآية (54).

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، التفسير والتحليل والتوزيع،ج25، الدار التونسية للنشر والتوزيع،ب، ط،تونس، 1984،ص 246-247.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، الجزء الثاني، دار الأندلس، بيروت لبنان، ب،ط،ب،ت، ص 64.

أي فقد أعطينا أسلافكم من ذرية النبوة وأنزلنا عليهم الكتاب وأعطيناهم الملك العظيم مع النبوة كداوود وسليمان عليهما السلام.[1]

على العموم الحكمة هي خلاصة تجربة الشخص وعلى نطاق أوسع، هي تمثل ثقافة المجتمع وفكره، وتوجد عدة طرق يستمد الإنسان منها حكمته مثل الحكم والأمثال والقصص والحكايات، والأهم منها التجربة الذاتية للشخص.

ومن الناحية أخرى تطلق الحكمة على عدة معاني منها المصلحة ومنها الموعظة ومنها العلم والفهم ومنها النبوة والحكمة هي علم الفقه والعلوم الدينية وهي طاعة الله فقط.

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص363.

2- تطور مناهل الحكمة في الشعر العربي:

1/2مناهل الحكمة في الشعر الجاهلي:

لقد نهلت الحكمة في الشعر الجاهلي مادتها من مناهل ثلاثة هي: المورث الثقافي من حكم وأمثال وأقوال مأثورة وحكايات وأساطير، والمؤثرات الأجنبية الذاتية:

أ- الموروث الثقافي:

يعد الموروث الثقافي من حكم وأمثال وأقوال مأثورة وحكايات وأساطير مهلا ثريا من مناهل الحكمة في الشعر العربي عامة، وفي الشعر الجاهلي خاصة، ذلك أن الشعراء انتخبوا من هذا الموروث مادة تصلح لمنظوماتهم في الوقت نفسه، ودراسة العلاقة بين الأمثال والحكمة في الشعر الجاهلي تعطي دليلا واضحا على هذه الظاهرة.[1]

وبالتالي يلاحظ الدارس للشعر الجاهلي ظاهرة اقتباس الشعراء لحكمهم من الأمثال الشعبية من منظومات وأقوال الشعراء فقد ضاع الشعراء كثيرا من حكمهم من معاني الأمثال الشائعة في مجتمعهم، للتدليل على ما يردون من أفكار ومعان ضمنوها أبيات الحكمة في قصيدتهم.[2]

ومن أمثالهم التي اقتبسها الشعراء في شعرهم، قولهم (أبلغ من سبحان وائل) جاء في شعر حميد بن ثور، يذكر ضيفا نزل به.[3]

أتانا ومدناه (سبحان وائل) بيانا وعلما بالذي هو قائل.

---

[1] محمد عريس، الحكمة في الشعر العربي في الجاهلية والإسلام، المركز الثقافي في الشرق الأوسط، مكتبة الإسراء، ط2، 1994، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] ابن فتية، الشعر والشعراء، دار الكتب، ط الخانجي، ص 87.

واضح هنا أسلوب الشاعر في اقتباس معنى المثل وتحوير صيغته بما يناسب نظم الشعر، فالضيف الذي نزل به لا يدانيه أحد في علمه وبيانه، حتى سبحان وائل الذي تضرب بفصاحته وبلاغته الأمثال.[1]

وفي مطولة امرئ القيس جاء تشبيهه سرعة فرسه بسرعة الخذروف ترديدا لمعنى قوله في المثل" أسرع من الخذروف" يقول:

دُرِيرُ كَخَذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمْرَهُ تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِخَطِ مَوْصِلِ.[2]

وقولهم في المثل " خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع" ردد الشماخ معنى هذا المثل في شعره في مثل قوله:

لَماَ المَرْءُ يُصْلِحُهَ فَيُغَنَى مُفاَرَقَهَ أَعَفُ مِنَ القُنُوعِ.[3]

على العموم لقد صاغ الشعراء كثيرا من حكمهم من معاني الأمثال الشائعة في مجتمعهم، للتدليل على ما يريدون من أفكار ومعان ضمنوها أبيات الحكمة في قصيدهم، وأن الشعر ساعد على الاحتفاظ ببعض الصيغ المأثورة للأمثال.

تتصل الحكمة في الشعر الجاهلي بمنهل آخر من الموروث الثقافي نعني به الحكايات والأساطير التي ترددت في المجتمع وما جاء في هذه الحكايات من عبر وأمثال، وقد تكون هذه الحكايات واقعية حدثت لأفراد المجتمع فاستخلصوا منها حكمة بعينها، من ذلك حكاية الحارث بن سليل مع الزباء ابنة علقمة بن خصفة الطائي، حين رأى منها عزوفا عنه وميلا إلى الشباب من بني قومها، فطلقها وهو يقول :" تجوع الحرة ولا تأكل بثديها" مثيرا إلى وجوب صيانة الإنسان نفسه من خسيس المكاسب.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 87.
[2] محمد عويس، الحكمة في الشعر العربي الجاهلي والإسلام، ص 15.
[3] المرجع نفسه، ص 16.
[4] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، د.ط، ص 3.

وفي شعر الحارث تسجيل لعتابه لامرأته حين طلقها من ذلك قوله:

تَهَزَأْتُ أَنْ رَأَتْنِي لاَبَسَ كِبَرضا وَغَايَةَ النَاسَ بَنِي المَوْتَ وَالكِبَـرِ

فَإِنْ بَقِيَتْ لَقِيَتْ الشَيْبَ رَاغِمَـةَ وَفِي التَعَرُفِ مَا يَمْضِي مِنَ العِبَرِ.[1]

بالتالي لقد استخلص بعض الشعراء طرفا من حكمهم من الحكايات والأساطير في مجتمعهم، وهي حكايات قد تكون واقعية أو متعلقة بشخصيات حقيقية أو شخصيات أشبه بشخصيات الأساطير الشعبية.

ب- المؤثرات الأجنبية:

الذي لا شك فيه أن الموروث الثقافي العربي تأثر بمؤثرات أجنبية ولكن يجب عدم الإفراط في تقدير قيمة هذه المؤثرات ونتائجها على الحكمة في الشعر الجاهلي، فكثير من الأمثال والحكم المستخلصة نبعت من تجارب القوم في حياتهم الخاصة، وقد يظن أن الحكمة العربية تأثرت بمؤثرات الأجنبية من خلال الامتزاج الثقافي بين العرب البدو والعرب المتحضرين الذين كانوا يعيشون في كتف أمم أجنبية مثل المناذرة والغساسة، وهذا الامتزاج كان من أبرز مجالات حدوثه الأسواق العربية والمراكز الثقافية في بلاط ملوك العرب خاصة المناذرة.[2]

مما لا شك فيه أن الأسواق العربية التجارية كانت مجتمعات مختلفة إذ لم تكن قاصرة على أعمال البيع والشراء، وإليها انتقلت عناصر عربية وغير عربية، ووجد المعلمون والوعاظ والمبشرون فيها مجالات للدعوة إلى تعاليمهم، والمثل وجد أصحاب القول مجالا فيها للأحاديث والمساجلات والمنافرة والمفاخرة.[3]

من الحكماء العرب الذين عرفوا غب الجاهلية، الحكيم لقمان فسنجد الأخبار تؤكد أنه كانت عند العرب صحيفة أو مجلة أو كتاب بها ما أثر عنه حكم، وعلى هذا تأتي

---

[1] المرجع السابق، ص 4.
[2] محمد عويس، الحكمة في الشعر العربي الجاهلي والإسلام، ص 20.
[3] المرجع نفسه، ص 22.

أحاديث الشعراء عن شخصية لقمان، لا تظهر فيها أثار أجنبية غربية على الشعر العربي، إذ أنها أشعار لا تخرج عما هو مألوف في الحكمة من استخلاص العبرة والحكمة،[1] مما يجري في حياتهم من أحداث، ولقمان الحكيم بصورة المتباينة تحول في الموروث الثقافي عند العرب إلى منهل من مناهل الحكمة فتؤخذ من حياته الأسطورية العبرة التي تفيدهم في حياتهم، وهي حكمة تقليدية عادية لا تحتاج إلى تأثر بالفكر اليوناني أو الثقافة الفارسية.

بالتالي يمكننا القول بأن تأثر الحكمة العربية بالمؤثرات الأجنبية تثبت أن العرب في الجاهلية لم يكونوا مستقلين عن غيرهم من الأمم استقلالا تاما، لا في المسائل الاقتصادية لا السياسية ولا الأدبية، ولكن يجب أن نفرط في تقدير أثار هذا الامتزاج على شعر الحكمة بصفة خاصة، ذلك أن الامتزاج ظهر أثره في مظاهر الترف والحضارة خاصة، أما جوهر الفكر والحكمة فيبدو أن الزمن كان مبكر المثل هذا التأثير والتأثر.

ج- التجارب الذاتية:

أغلب الحكم في الشعر الجاهلي مستخلص من تجارب القوم الذاتية، ولا نخطئ أن التجربة الذاتية للعربي كانت المنهل الرئيسي لشعر الحكمة في العصر الجاهلي وهي تجربة تعتمد على الملاحظة الدقيقة لما يجري في الحياة من أمور، فهي تجربة مستمدة من الواقع[2] ونتائجها محسوسة لا غموض فيها، ومن حكمهم في أدب معاملة رفيق الرحلة يقول الشاعر:

إِذَا كُنْتَ رِبَا لِلْقلْوصِ فَلاَ تَدَعِ رَفِيقَك يَمْشِي خَلْفَهاَ غَيْرَ رَاكِبِ.

أَنْخَهاَ فأَرْدَافَهُ فإَنْ حَمَلَتْكُـــمَا فَذَاكَ وَأَنْ كَانَ العِقَابَ فَعاَقِـبِ.[3]

---

[1] عبد الحميد عابدين، الأمثال في الشعر العربي القديم، جامعة القاهرة، 1948، ص 28.
[2] محمد عويس، الحكمة في الشعر العربي الجاهلي والإسلام، ص 32.
[3] المرجع السابق، ص 41.

على العموم التجارب الذاتية منهل من مناهل الحكمة في الشعر الجاهلي وهي - في نظرنا- أرقى مظاهر الحياة العقلية لهؤلاء القوم، زمنها استطاع الشعراء أن ينفذوا إلى خطرات فلسفية، وأن هذه التجارب شملت كل مناحي حياتهم ومن ثم كانت حكمتهم منوعة شاملة لكل مناحي حياتهم.

1/2 مناهل الحكمة في العصر الإسلامي:

لقد تمثلت مناهل الحكمة في العصر الإسلامي الدعوة الإسلامية من قيم جديدة للحياة وما أضافته إلى الموروث الثقافي والخلقي، فالإنسان سيتلهم الحكمة من مورثه الثقافي والقيم التي يؤمن بها وتجاربه، من يتصل بهم أو يتأثر بهم.

أ- مناهل إسلامية:

عند ظهور الإسلام تأثرت هذه المناهل بالدعوة الجديدة وما تضمنه من قيم جديدة وما أضافته إلى الموروث الثقافي، وتقوم هذه القيم على ركنين أساسيين هما "العقيدة" و" الشريعة" فأول منهل من المناهل الإسلامية لقيم الحياة هو القرآن الكريم وهو منهل أثرى الحكمة ثراء بعد ثراء، فالإسلام دين عقلي لأنه يحث على استعمال العقل وعلى التفكير والتدبر والتبصر، والقرآن يدعو دائما إلى استعمال عقله.[1]

يعد " الحديث" ثاني منهل من المناهل الإسلامية للحكمة في هذا العصر ذلك أن كثيرا مما ورد مجملا في القرآن من عناصر العقيدة وأسس الشريعة، فصل وشرح في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أشير إليه بإيجاز في القرآن من تحريم بعض المحرمات ورد تفصيله،[2] في الحديث الشريف، من مثل تحريم الخمر، لم يبين النص الكريم ما المراد بالخمر وأي المقادير يحرم ونحو ذلك كل هذا يبينه الحديث.

يتبين لنا أن الإسلام جاء بقيم جديدة تختلف عن تلك التي كانت تسود المجتمع العربي في العصر الجاهلي، وأثر هذه القيم في تطور مناهل الحكمة، وأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانا من أبرز المناهل الإسلامية لشعر الحكمة.

---

[1] محمد عويس، الحكمة في الشعر العربي الجاهلي والإسلام، ص 137.

[2] المرجع نفسه، ص 139.

يضاف إلى هذين المنهلين الإسلاميين منهل إسلامي ثالث هو: الخطابة الإسلامية، وأوضحت الدراسة لنا أنه الخطابة كانت منذ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وأصبحت أداة من أدوات الدعوة إلى الدين الحنيف، وللخطابة موضوعات متنوعة ومستحدثة بدأت تنمو في المجتمع الإسلامي بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية وظهور أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية تستدعي استحداث موضوعات تتناول في الخطب.[1]

لقد تلونت موضوعات الخطابة الإسلامية في عهد عمرو بن الخطاب بالحديث عن الحكم والشورى في سياسة أمور الدولة الإسلامية، وتحولت مجالس هذا الخليفة الورع إلى مجالس رأي وشورى يدلى فيها الخطباء بدولهم وممن اشتهر في هذه المجالس الأحنف بن قيس سيد بني تميم كانت له أكثر من خطبة ألقاها بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[2]

لعلنا بعد هذا لا نبالغ في اعتبار الخطابة منهلا من المناهل الإسلامية الأساسية التي نهل منها الشعراء حكمتهم في هذا العصر وهو منهل لم يتوفر لهم بهذه الصورة من تنوع الموضوعات وأسلوب العرض في العصر الجاهلي.

2/ تطور الموروث الثقافي:

لقد أضيف غلى الموروث الثقافي العربي مادة ثرية من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن أقوال الصحابة والتابعين ومنظومات الشعراء وتستطيع أن نظم إلى هذا الموروث أقوال الوعاظ والنساك والزهاد لأثرها المباشر في إثراء الفكر والوجدان الشعبي لخطابتها المشاعر الدينية والروحية ومن ثم أثرت في تجارب المتلقين وأفكارهم، وأسهمت هذه المادة في تطور الموروث الثقافي الذي رأيناه في العصر الجاهلي، بما يشكل منهلا ثريا من مناهل الحكمة في الشعر العربي.[3]

يمكننا القول بأن الموروث الثقافي لهذا العصر جاء على لسان الزهاد والنساك والوعاظ من أقوال مأثورة تتسم بالعمق الفكري والروحي الإسلامي وهو موضوع

---

[1] شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف ، 1986، ص 18.
[2] أحمد أمين، فجر الإسلام، دار المعارف، ص 43.
[3] محمد عويس، الحكمة في الشعر العربي الجاهلي والإسلام، ص 150.

الحكمة دار على لسان الشعراء وأثر في شعرهم وهي إضافات جديدة للموروث الثقافي للعصر السابق.

3/ نمو التجارب الذاتية:

لقد استمرت التجارب الذاتية منهلا رئيسيا للحكمة في الشعر الإسلامي نحو ما كانت عليه في الشعر الجاهلي، وتعددت موضوعاتها ونمت أبعادها بفضل نمو فكر الإنسان واتساع أفاق ملاحظاته لما يجري في الحياة من أمور، ومن ثم جاءت التجارب الذاتية في شعر الحكمة الإسلامي تحمل طابع جديد تؤكد نمو التجربة الذاتية للشاعر في المجتمع الجديد، وهذه التجربة هي الامتزاج بين الطوابع الجاهلية والطوابع الإسلامية.[1]

وقد تظهر في تجاربهم الذاتية آثار النزعات القبلية والتفاخر بالقوة من مثل إشادة مصعب بن الزبير بالقوة ورفض النزول بمنازل الذل يقول:

فِي القَوْمِ مُعْتَصِمِ بِقُوَةِ أَمْـــرِهِ وَمُقَصِرِ أَزْرَى بِهِ التَقْصِيرُ

لاَ تَرْضَى مَنْزِلَةَ الذَلِيلَ وَلاَ تَقْمْ فِي دارِ مُعْجِزَةَ وَأَنْتَ خَبِيرُ

وَإِذَا هَمَمْتَ فاَمْضِ هَمَكَ إِنَمـــا طَلَبُ الحَوَائِجِ كُلَهاَ تَغْرِيرُ[2]

وفي مثل آخر، الإيمان بقدرة الله سبحانه وتعالى على دفع الضر عن الإنسان يقول عبيد الله بن الحر:

لَمْ يَجْعَلْ اللهُ قَلْبِي حِينَ يَنْزِلُ بِي هَمَ تَضِيفَنِي ضَيْفاٌ وَلاَ حَـرَجاَ

مَا انْزَلَ اللهُ بِي أَمْرا فأَكْرَهَـــهُ إِلا سَيَجْعَلُ لِي مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَا[3]

---

[1] المرجع السابق، 161.
[2] أبي تمام، ديوان الحماسة، ص 65.
[3] محمد عويس، الحكمة في الشعر العربي، ص 172.

على هذا النحو نمت التجارب الذاتية وتعددت موضوعاتها بفضل نمو فكر الإنسان واتساع أفق ملاحظاته لما يجري في الحياة من أمور، ووضح فيها الامتزاج بين الطوابع التقليدية للتجربة الذاتية الجاهلية وبين الطوابع الإسلامية الجديدة، فالإنسان في المجتمع الإسلامي إنسان في مجتمع عام أما في المجتمع الجاهلي فهو إنسان في قبيلة مما حقق للتجارب الذاتية للشاعر الإسلامي عمقا إنسانيا ومتطورا فكر لم نعتده عند الشاعر الجاهلي من قبل.

4/ المؤثرات الأجنبية:

اتسعت دائرة اتصال المجتمع العربي الخارجي مع ظهور الإسلام فاتجهت القبائل العربية مع حركة الفتوح الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة وذلك أن العرب باعتناقهم الدين الحنيف أصبحوا أصحاب دعوة دينية تكلفوا بنشرها خارج حدودهم، فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية لكل البشر، وعلى من يعتنقها الدعوة لها.[1]

على العموم، إنما شاع في العصر من مؤثرات أجنبية ظهر أثره في الناحية التطبيقية ومظاهر الترف الحضاري وتقدم الحركة العلمية والثقافية في المجتمع، وأن ظهور الأثر في الامتزاج اللغوي والحضاري، وأن المجتمع العربي أخذ في استيعاب القيم الإسلامية ودرسا درسا متأنيا تمثلا عميقا الذي انفتح على الحضارات المحيطة به ويمثلها كاملا جاءته سيول الثقافة والحضارة الأجنبية ليتمثلها بدورها، وعلى ذلك خلصت الدراسة إلى أن الحكمة في شعر هذا العصر ظلت عربية إسلامية.

[1] المرجع السابق، ص 174.

3- أنواع الحكمة ومصادرها في العصر العباسي:

تنقسم الحكمة في العصر العباسي إلى نوعين: " حكمة نظرية" و"حكمة عملية " فيما يلي نأتي بما ورد من التعاريف لهتين الحكمتين.

1- الحكمة النظرية: هي علم بحالات الأشياء كما هي أو كما سوف تكون، هذه الحكمة يكسبها الفرد عن طريق الفكر والدراسة والتحقيق مثل معرفة حالات الأجسام ومعرفة النجوم وأماكنها،[1] والحكمة النظرية المقصود منها ما حصل بالنظر تتحدث عن الوجود وما هو كائن وهي بمعنى الفلسفة والحكيم هو الفيلسوف، وتنقسم الحكمة النظرية إلى ثلاثة علوم: الإلهيات، والطبيعيات، والرياضيات.

2- الحكمة العملية: هي التعرف إلى أفعال البشر الاختيارية، كيف وبأي طريقة يتم التعرف إليها، الحسنة والمطلوبة منها، والرديئة والمذمومة، والحكمة العملية هي العلم بما يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد والعمل به ومعرفة الأمور التي لها مساس مباشر بالعمل كالطب والحساب والهندسة وتتشعب الحكمة العملية إلى الأخلاق وتدبير المنزل وسياسية المدن[2] بالتالي هي علم بما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا تدور مسائلها مناط البحث داخل حدود حرية الاختيار البشري أي تبحث مجموعة من القضايا في متناول الإنسان واختياره، وهي موضوعات لا توجد إلا بوجود الإنسان.

لقد أعطيت للحكمة قيمة ومقام خاص من قبل الشعراء، لذلك نرى في العصر العباسي الحكمة تأتي في قصيدة مضمونها حكمي، أما الوضع في العصر الجاهلي فكان يختلف، حيث كانت الحكمة أبياتا متناثرة ترد في بعض القصائد، كما قال زهير بن أبي سلمى:

---

[1] أل غالب، علي رضا، الحكمة الهندية في الاعصر العباسية، رسالة ماجستر، جامعة أزاد الإسلامية، أبادن، إيران، 2005، ص 6.

[2] المرجع نفسه، ص 8.

وَمَنْ يَجْعَلْ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدَهُ دَمَا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ.[1]

وقال بعض الحكماء: " الحكمة موقظة للقلوب من سنة الغفلة، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة، ومحيية لها من موت الجهالة، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة، العلم دواء للقلوب ومشحذ للأذان الكلية، ونور في ظلمة ".[2]

2/ الحكمة ومصادرها في العصر العباسي:

مما لا شك فيه أن الحكمة لها مصادر ومأخذ وزدية وجماعية، أن الممم والملل تتأثر بأسلافها وقدمائها وتتوارث العقائد والعادات والطقوس الدينية، ومن تلك المواريث الحكم والأمثال والأقوال المأثورة التي هي بمثابة لوحات مرور مغروسة لدى تلك الشعوب، ومن التجارب الفعلية العملية والاكتسابية من الأمم الأخرى تبنى حكمة الفرد أو الأمة أو الشعب إلى مستوى علمي وفكري عند الأمم الأخرى.

إذا أردنا أن نقارن الهند بالأمم الأخرى فلا غزو من أن الهند ومللها ونحلها وحكمتها وفلسفتها وصناعتها، وهي الأقدم من كافة الأمم الأخرى، والهند لم تغز الأمم الأخرى، مثل فارس والعراق واليونان والدافع الفتوحي لم يكن عند لأهلها كما كان عند " الاسكندر" و " كورش" و " داريوش"[3] بمعنى أن الهند هي أقدم الأمم تتصف بالفلسفة والفكر وأنها تعتمد على العقل، وأن الفلسفة الهندية ليست معتقدا دينيا، بل هي فكرة تدرك من خلال مناهج عديدة.

---

[1] فؤاد أفرام البستاني، زهير بن أبي سلمى، م1، 1988، ص 88.

[2] الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم، زهر الأدب وثمر الألباب، شرح وضبط، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، ط4، بيروت، لبنان، 1972، ص 142.

[3] المرجع نفسه، ص 50.

إذا تعرفت على أرائهم وعقائدهم البوذية يتضح ذلك أن السلم وعدم إراقة الدماء والتعايش السلمي وإعطاء حق الحياة لجميع الموجودات، هي من شعرائهم.[1] لقد عرف شعب بأنه شعب ذو عاطفة وإحساس عظيمين، فعمود وأساس الخلق الهندي هو العاطفة.

يقول الأستاذ مطهري: " العربي الذي طالع (الأوبانيشاد) وصل غلى ثلاثة أصول: أولا: أساس الثقافة الهندية هو معرفة النفس.

ثانيا: من عرف نفسه، فقد عرف ربه والعالم

ثالثا: قوة التسلط على النفس."[2]

بمعنى في كليهما غاية وحكمة واحدة، التي تقود غلى الحياة الأبدية ومعنى "الأوبانيشاد ": هي منهاج وصل فيه التأمل الإنساني قمته العليا، وقد سيطرت الاوبانيشاد على فلسفة وديانة الهند لمدة ثلاثة ألاف سنة تقريبا، فأخذت كلمة " أوبانيشاد" عن " أوبا" التي تعني قريبا و" ني" تعني الأسفل و" شاد" تعني يجلس.

تقسيم مصادر الحكمة إلى قسمين:

أ- الموروث الشعبي.

ب- التأشيرات الأجنبية.

أ- الموروث الشعبي: الوارثة التي سيرثها الشعب من الأسلاف تشمل العادات، والتقاليد ومن ضمنها الحكم والأمثال، الحكايات القصص، النوادر والتجارب الذاتية الجمعية والفردية من الأمثال والحكم والأقوال المأثورة نذكر من المتنبي:

---

[1] مطهري مرتضى، الحكمة العملية، دار الولاء بيروت، لبنان، ط 1،2009،ص 49.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَئِيمَ تَمَرَدَا.[1]

وقال أبو نواس:

خَيْرُ هَذاَ بَشَرُ ذَا فَإِذاَ الرَبُ قَدْ عَفاَ

الأقوال والحكم العربية الموجودة في الموروث الشعبي، كثيرة لا تعد وقد جمع الكثير منها في " مجمع الامتثال للميداني" المتوفى سنة 518 هـ والأقوال والحكم التي قالها الإمام علي قد جمعت في كتاب (نهج البلاغة) على يد الشريف الرضي (359هـ-406هـ)، وأما القصص والنوادر فمنها قصة " ألف ليلة وليلة "و " كان يا مكان" و" سندباد" وغيرها التي أخذت من القصص الهندية.[2]

ب- التأثيرات الأجنبية:

أولا: الفرس: كان للفرس الدور البارز في إيصال الثقافات الأخرى إلى العرب كالهندية واليونانية والسريانية، وكان الخلفاء العباسيون متأثرين بالفرس أشد التأثر، حيث نرى مؤدب المأمون والرشيد فارسيا والوزير، والكتاب والمشاور فرسا، والاهم من ذلك أن أكثر زيجات الخلفاء فارسيات، فمنهن أم هارون وإحدى نسائه التي هي أم المأمون.

[1] الميداني، أبي الفضل أحمد، مجمع الأمثال، قدم وعلق عليه: نعيم حسن زرزور، نشر دار الكتب العلمية، ج1، بيروت،لبنان، 2004، ص 43.

[2] العاكوب عيسى، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي (العصر العباسي الاول)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ص 83.

إن التأثير الفارسي شمل ألوان الحضارة في العصر العباسي برمتها، والثقافة الفارسية التي كانت يانعة بثمارها العلمية وحكمتها البهية خلدها حكماء الفرس مثل "بزرجمهر" و " كسرى " و" أردشيربن بابك" (226- 241 م) و" سابوربن أردشير" و "قباذ" الذي تولى الملك سنة (448م) والحكمة في كتاب " جاويدان خرد"[1] لابن مسكوبه فيه حكم منسوبه " ليزرجمهر" وزير كسرى أبو شيروان الذي أنشأ مدرسة "جندسابور" فإذا كان للفرس الدور الفعال في إيصال العلوم والحكمة الفارسية إلى العباسيين، وكان لهم الدور الأساس غي إيصال حكم الثقافات الأخرى وعلومها إلى العرب.

ثانيا: الداخلون في الإسلام: دخل الكثير من جمهور الفرس في الإسلام، واندمج العرب مع الفرس ثقافيا، واقتبسوا منهم، فنتيجة الموالي وأسرى الحروب ظهور جيل جيد أسهم في نقل معظم العلوم والحكم.

وعندما فتحت بلاد السد وبلاد الهند دخل الإسلام عدد غفير من أصحاب تلك الأرض، فأصبح الاندماج العربي مع الثقافات الداخلة في الإسلام يتكاثر إلى أن ملئت بغداد بالجواري والإماء الهنديات والفارسيات والروميات، فحقت لهم الحقوق كالعربي، من أبناء الموالي السندين نذكر، أب عطاء السندي و أبا معشر السندي صاحب كتاب "المغازي" و " اختلاف الزيجة" في الفلك والألوف ويذكر بان معظم صرافي البصرة كانوا من الهنود، ذلك لان الهنود كانوا أعرف الأمم بالحساب والأعداد.

ومن الموالي الذين جلبوا من الهند، نبع من أولادهم شعراء وعلماء و أبو عطاء السندي الشاعر المخضرم (الأموي - العباسي) منهم، ومن أشعاره التي يذكر فيها عجمة لسانه وعدم قدرته على تلفظ الحروف العربية، نختار قوله:[2]

أَعْوَزَتْنِي الرُوَاةُ يَا ابْنَ سَلِيمُ وَأَبِي أَنْ يُقِيمَ شِعْرِي لِسَانِي

وَغَلاَ بِالذِي أَجْمَجْمَ صَدْرِي وَجَفَانِي لِعَجْمَتِي سُلْطـــانِي.

[1] المرجع السابق، ص 84.

[2] أمين، أحمد ضحى إسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص179.

و " ابن الأعرابي" اللغوي، الشاعر والأديب والمؤلف الذي تتلمذ على يد " ثعلب وأبن السكيت الدورقي"، كان أصله هنديا، ويد من أئمة اللغة العربية وله كتاب " الأنواء" في علم الفلك والنجوم، ومن أشعاره نذكره مما قاله في الحكمة عندما أشد لأبي الحسن المدايني، فقال ابن الأعرابي:[1]

وَإِذَا أَظْهَرَتْ أَمْرا حَسَنا فلَيَكُنْ أَحْسَنُ مِنْهُ ماَ يَسَرُ.

فَمِسْرُ الخَيْرُ مَوْسُومُ بِــهِ وَمَسْرُ الشَرُ مَوْسُومُ بِسْرُ.

ومما يبدو لنا من أشعار ابن الأعرابي أن مضمونها حكمة هندية وتشمل أراء الدهرية ويبدو أنه على عقيدة أهل التناسخ في نظرته الكلية للدنيا وطريقة التعايش وأنشد يقول:

حَسْبَ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادَ يَبْلُغُهُ المَحْـــــــلاَ

خُبْزُ وَمَاءُ بَـــــــارِدُ واَلطِفْلُ حِينَ يُرِيدُ ظِلا.

ثالثا: الجيرة: أما المجاورون للعرب فهم: الفرس واليهود، والنصارى، والكلدانيون، والسريان، فكانت التأثرات منهم كبيرة جدا، والفرس كحلقة وصل بين الهند والعرب، وينقل للعرب ما نقلته الفرس من الهند والمدينة التي لعبت الدور الوسيط في نقل علوم الهند إلى الفرس، ثم إلى العرب، هي " بلخ" التي كان بها معبد للنار اسمه النوربهار ومن سدنة ذلك المعبد كان " برمك" جذ يحيى البرمكي في عهد هارون الرشيد.[2]

والمدن التي فتحت على يد المسلمين ملئت سكنة، بالنزوح العربي إلى تلك الديار وأخذ هذا النزوح يتكاثر، فهاجرت طوائف من العرب غلى خرسان والري، وجرجان، وبلاد السند والمدن الهندية التي فتحت على يد محمد بن القاسم بن المنبه الذي قال فيه الشاعر:

إِنَ المُرُوَءَةَ وَالسمَاَحَةَ وَالنَّدَى لِمُحَمَدِبْنُ القَاسِمِ بْنُ مُحَمَدِ

---

[1] المرجع السابق، ص 180.

[2] ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، نشر ذوي القربى، إيران، ط2، 1427هـ، ص 110.

الذي افتتح بلد " بمهنوا" وسماه " منصورة" و "مولستان"وسماه " معمورة".
وفتح " دييل" و" نيرانكوت" المسماة " بحيدراباد " ومن الهند طائفة " السنت" التي هجرت الهند منذ بضعة ألاف السنين وأتت، فاستقرت في مصر باسم " الفجر" وفي سوريا باسم " النور" ويدعون " كأولة" في العراق " بو هيميين" في أوروبا.[1]

ج- محطات العلوم والحكمة لدى الشاعر العباسي:

العصر العباسي هو عصر امتزاج الثقافات الأجنبية في سلة الثقافة العربية الإسلامية فكان حاصل المزيج الفكري والعقلي والعرقي ثقافة جديدة متأثرة بالثقافات الهندية والفارسية واليونانية، ونقل الكتب وترجمتها من هذه الثقافات إلى العربية كان رابط التعارف ما بين العرب وتلك الشعوب، والجسر الرئيسي بين الهند والعرب كان الفرس " لأنها حدها الشرقي حوض ونهر جيجون "،[2] الكتب المترجمة والمنقولة إلى العربية كانت بعض الأحيان تصل إلى الشاعر مشافهة عن طريق الخطب والمحاضرة والعلماء، ومن أهم محطات العلوم هي:

أولا: الوارقون: " أنشأ بعض الوراقين لهم دكاكين ملاوؤها بالكتب يتاجرون فيها " .
وكان الشعراء وغيرهم يأخذون كل ما طلبوا من الكتب العلمية والأدبية، ويقول الجاحظ : " سألت بعض العطارين وكان منهم المعتزلة، فكان منهم يناصرون هذا المذهب أو ذلك".

ثانيا: المساجد: " كانت المساجد ساحات العلم الكبرى، فلم تكن بيوتا للعبادة فحسب بل كانت أيضا معاهد لتعليم الشباب" والشعراء وعلماء اللغة والرواة، كانوا يجتمعون في المساجد، فيدور النقاش العلمي والثقافي في ذلك المكان ومن الشعراء نذكر أبا نواس، وبشارا، وواصل بن عطاء المعتزلي، يقول شوقي ضيف أيضا: " أما المساجد فتح بجانب ما كان فيها من صلوات إلى جامعات كبرى، يتعلم فيها الشباب جميع فروع العلم ".[3]
وعن أصحاب المساجد ينقل لنا الجاحظ ويقول: " قال أصحابنا من المسجدين: اجتمع الناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة". والمسجديون كما قال يتخذون

---

[1] المرجع السابق، ص 27.
[2] العاكوب عيسى، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، ص 18.
[3] ضيف شوقي، في تاريخ الأدب العربي، ص 100.

المسجد منتدى لهم. منهم الشعراء والرواة ومنهم من يقول الحكمة، وكان لهم أثر غير قليل في التوجيه الأدبي والتأثير في اتجاهات الشعر العباسي.

ثالثا: المجالس: تحولت مجالس الخلفاء ومنهم المأمون الرشيد المتأثر بآراء المعتزلة، ومن الوزراء يحيى البرمكي، والأطباء يوحنا بن ماسويه الذي كان مجلسه أعمر مجلس ببغداد.[1]

وكانت " مجالس البرامكة " و " مجلس المأمون"و " مجلس أيوب بن جعفر بن المنصور العباسي"، ومجلس المتكلمين والفلاسفة، ومجلس أزدى بالبصرة ، من أهم المجالس وكان التعليم فيها شفويا مجانا، وكانت أبواب هذه المجالس مفتوحة لكل الطبقات ، أي عامة الناس ، فكان باستطاعتهم أن يرتووا معرفة وحكمة وثقافة من تلك المجالس، ونذكر من الطبقة العامة العلماء والشعراء الأعلام مثل: بشار بن البرد (96هـ-168هـ) وأبي نواس (145هـ- 199هـ)، وأبي العتاهية (130هـ-210هـ)، ومسلم بن الوليد(130هـ- 208هـ)، وأبو تمام(172هـ)، والمتنبي(303هـ-354هـ).

ولقد ازدهرت الحركة العلمية والأدبية في العصور العباسية وذلك حسب ما يذكره الدكتور شوقي ضيف: " ومن أهم الأسباب التي دفعت إلى ازدهار الحركتين، العلمية والأدبية في العصر العباسي هو الاتصال الخصب المثمر بين العرب والأمم المغلوبة المستغربة وما طوى فيها من علوم ومعارف...وعن طريق المشافهة مع المستعربين وطريق النقل والترجمة ".[2]

وبالتالي يعد العصر العباسي من أزهى العصور الأدبية القديمة علما وأدبا وذلك بسبب الانفتاح الذي حصل في المجتمع العباسي واختلاط الثقافات المختلفة مع الثقافة العربية، والتبادل الثقافي الذي حصل بينها، فجعلت كل واحدة تأخذ من الثانية، وحصل تطور واسع في كافة مجالات العلوم، أدبية كانت أو علمية.

---

[1] ضيف شوقي، في تاريخ الأدب العربي، (العصر العباسي الأول)، ص107.
[2] المصدر السابق، ص 109.

1/ نبذة عن حياة أبو تمام: (إسمه،مولده، نشأته، مؤلفاته):

تماشيا مع هدف البحث، سنتناول الحديث عن حياة أبي تمام من الجانب الذي يساعدنا على تسليط الضوء على ميله إلى شعر الحكمة والنبوغ فيه، ولذلك سنسعى عن الخوض في اسمه ومولده ونشأته...إلخ، إذن نسلك مسلك الاختصار عن مكانة شاعرنا.

1/1- اسمه وكنيته:

هو حبيب أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان ابن مر بن سعد بن كهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن جلهمة، وجلهمة هو طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان.[1]

2/1 -مولده:

اختلف الرواة حول سنة ولادته وقد شكك بعض الباحثين في عروبته، فنسبه بعضهم إلى اليونان وغيرهم ولكن الدلائل تشير إلى أنه طيء صلبية ودليل على ذلك أنه افتخر بها افتخار أبنائها المخلصين لها، ويغلب الظن ولد 190هـ.[2]، ومنهم من يذكر أنه ولد سنة 193هـ، إلا أن أدرج الروايات ما رواه ابنه تمام فيما رواه عنه صاحب " تاريخ بغداد" والحمودي صاحب معجم البلدان قال: " ولد أبي تمام سنة ثمان وثمانين ومائة (188هـ)ويختلف مولده وتردد السنوات (230-232هـ)".[3]

1/3- نشأته:

أما نشأة أبي تمام هي كذلك أكثر غموضا مثلها مثل نسبه وتاريخ مولده ووفاته، إذ تروي الأخبار أن أباه كان عطارا في جاسم، فلما انتقل إلى دمشق صار خمارا

---

[1] الحسن بن بشير بن يحيى الأمدي البصري، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ت ج، محمد يحيى الدين عبد المجيد، مكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص5.

[2] أمين أبو ليل، محمد ربيع، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 163.

[3] مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم بيروت، ط1، د.ت،ص632-633.

وأرسل ابنه للعمل عند حائك وعند هذا الحائك اتصل أبو تمام بحلقة من حلقات العلم فتعلم وأسلم وقد أورد الخبر الثاني في أخر كتابه أن منطقة جوزان منطقة قبائل عربية منذ قبل الإسلام. يختلط فيها المسلمون والنصارى وقد حكمها الغساسنة، وكان العنصر اليمنى يغلب على أصولها.[1] وما أن بلغ سن الرشد حتى اعتنق الإسلام وكان الشعر بدأ يترفق على لسانه فغادر دمشق إلى حمص حيث لقي " ديك الجن الحمصي" وأخذ عنه الجودة في الشعر.[2]

انتقل إلى دمشق ثم إلى حمص ومدح أسرة عتبة بن عبد الكريم الطائي وكان عبد الكريم شاعرا، فأخذ عنه وتأثر به إلى حد بعيد ويقال أنه تتلمذ عليه، فأكتسب منه الصناعة اللفظية وساربها شوطا بعيدا حتى نسبت إليه، وأنه تفوق في الصنعة اللفظية على معلمه ديك الجن.[3]

أبو تمام لم يتعلم الكثير من دمشق، لكن العبقرية تدفع صاحبها لإيجاد وسائل تحقيقها. لا ريب أن أبا تمام وقد قارب العشرين، أحس بأنه لم يكون الشاعر العظيم إذا بقي بيئته هامشية وثقافة أولية، فسافر أبو تمام من حمص إلى مصر عمل في سقاية الماء في مسجد عمرو بن العاص ويستمع إلى ما يلقي في حلقاته من أمالي العلم والأدب، وينتقل من حلقة أخرى، وقد ذكرت كتب التاريخ أنه حفظ القرآن الكريم.

اتصاله بالخلفاء:

وفي عام 214هـ، عاد أبو تمام إلى دمشق غني الفكر فارغ الجيب، بعد أن قضى خمسة أعوام في مصر، وفي عام 217هـ، مر الخليفة المأمون بدمشق فمدحه أبو

---

[1] محمد محي الدين صبحي، ديوان أبي تمام، م1، دار صادر للطباعة والنشر، ص.ب، بيروت، لبنان، ط1،1997،ص 6.

[2] عمر فروخ، أبو تمام شاعر الخليسفة المعتصم بالله، دراسة تحليلية، بيروت، ط1، 2008، ص 104-112.

[3] محمد رضا مروة، أبو تمام عصره خيانة شعره، دار الكتاب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ- 1990م، ص 47-48.

تمام، لكن المأمون أعرض عنه ووبخه على ميله إلى العلويين، ثم عقدت الخلافة للمعتصم بالله سنة 218هـ، ففتحت الدنيا أبوابها لأبي تمام، وأصبح شاعر بلاطه.[1]

4/1- وفاته:

لقد اختلف الرواة في سنة وفاته كما اختلفوا في سنة مولده، يبدو أن أبا تمام قد توفي في أوثق الأقوال وأحسنها اتساقا مع حوادث حياته، في المحرم من سنة 232 هـ أيلول 846 م، ودفن في الموصل خارج الميدان على حافة الفندق، أما اليوم: " فإن وفاته في حديقة البلدية في ضريح ضخم".[2]

5/1- مؤلفاته:

يعد أبو تمام من الشعراء العلماء، ومختاراته الشعرية باتفاق الجميع من أحست أنواع الدراسات الأدبية، ومن مؤلفاته هي:

- كتاب الاختيارات من أشعار القبائل، ويشمل على مختارات من أغاني القبائل.

- الفحول: وهي مختارات من أجود القصائد الجاهلية والإسلام تنتهي بابن هرمة.

- كتاب الاختيارات من أشعار الشعراء، ويشمل على مختارات من أغاني الشعراء.[3]

- كتاب الحماسة، أو الحماسة الكبرى، جمعها البدر أبو الوفاء بن سلمى، بهمزات عندما اضطرته الثلوج، ويتابع سيرها إلى العراق، وجمع أثنائها كتاب الحماسة، وقد اختار أبو تمام في ديوان حماسة ، نحو سبعمائة وثمانين قطعة لنحو أربعمائة وخمسة وستين شاعرا.

- اختيار المقطعات، رتبة على نسق الحماسة لكنه بدأه بالغزل.

---

[1] الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، دار الفكر العربي، بيروت م1، ط1،2001،ص 8.
[2] محمد رضا مروة، أبو تمام، عصره، حياته، شعره، ص
[3] القاضي علي، بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بيت المتنبي وخصومه، ت.ج، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت)، ص، 89.

- مختارات من شعر المحدثين.

- نقائض جرير والأخطل: أورد فيه عشرين نقيضة للشاعرين مع نقيضة واحدة للفرزدق، وشعرا مختلفا للسفاح التغلبي.[1]

6/1 -أغراضه الشعرية:

خاض أبو تمام في فنون الشعر جميعها، ولكن شهرته وقوة شعره كانت بفنين هما: المديح والثراء، لا يعد ما وصل إلينا من شعر أبي تمام كبير الحجم مقارنة بدواوين غيره من الشعراء أمثال أبي نواس والبحتري وابن الروسي وغيرهم، وكان شعره متداولا على نطاق واسع بين العلماء والأدباء، وأنه كتبه بخط يده على ما ذكر.[2]

لا يمثل كل ما قاله أبو تمام من شعر وأن جامعها قد فقد لسبب أو أخر ومما يقوي هذا ما نجده في كتاب طبقات الشعراء المحدثين لا بد معتز من رواية تقول: " أن لأبي تمام ستمائة قصيدة وثم ثمانمائة مقطوعة جيدة أي مجموعة أربعمائة وألف قصيدة ومقطوعة، بينما الموجود في ديوانه المطبوع لا يصل إلى خمسمائة قصيدة ومقطوعة ".[3]

---

[1] الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 90.

[2] أبو تمام، ديوانه تقديم وشرح محي الدين الصبحي، دار بيروت، ج2،ط1، 2007، ص 162-163.

[3] جرجي زيدان، تاريخ آداب العربية، تقديم إبراهيم صحراوي، موقع النشر، 1999، ص 38.

لعل ما ذكر من اختلاف الناس في شعره واضطراب روايتهم فيه وكثرة ما حول مذهبه من خصومات نقدية، وشدة حسد الشعراء له كانت من أبرز الأسباب التي شاركت في ضياع بعض شعره.[1]

فأبو تمام خاض في موضوعاته الشعر كلها التي كانت سائدة قديما من مدح الهجاء، رثاء، وصف وغيرها.

أ- المدح:

شغل المدح القسم الأكبر من حياة أبي تمام ومن شعره، فإنه لم يكد يغفل في عصره أحدا من عليه القوم، ونخبة من الأدباء إلا تقرب منه ومدحه.[2]

في هذا الاتجاه تتجلى خصائصه الشعرية حيث يحتفظ بالتقاليد العربية المألوفة، المقدمة الطلبة والتشبيب، والنسيب، ويصطبغ شعره بلمحات فلسفية تأملية ومن ثقافته الواسعة وإطلاعه على مذاهب الكلام والمنطق.[3]

فالمديح عند أبي تمام يمتاز كذلك بالقومية العربية والدين الإسلامي يستمد منها عظمة وشهامة ونثيرها في مدائحه لذلك استطاع أن ينال إعجاب بني العباسي، فأبو تمام لم يشتهر بالحكمة فقط بل كانت شهرته بالمدح أكثر، استخدم كذلك الحوادث القديمة والحديثة التي كانت لها علاقة بالمدح أو قبيلة أو بقومه ليرفع من شأنه وشهرته ففخامة الألفاظ والتراكيب، من خلال الألفاظ ملأ الأسماع ومن التراكيب ما شغل الفكر هذا هو سر جمال شعره، ويوحي أقوالا وأراء يستعيرها من قوى الطبيعة.[4]

على العموم، يمكن القول أن أبو تمام من الشعراء المجددين في القصيدة العربية شكلا ومضمونا، وانه أدخل موضوعات جديدة على شعره، فالمدح كان من أهم الأغراض التي تتجلى في شعره.

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربية ،م البوليسية، بيروت، لبنان، ط10، ص 448.
[2] المرجع نفسه، ص 448.
[3] أمين أبو ليل، محمد ربيع، تاريخ الأدب العربي 1، العصر العباسي الأول، ص 146.
[4] عمر فروخ، أبو تمام شاعر الخليفة، دراسة تحليلية، ط1، ص 115.

ب- الوصف:

يعتبر الوصف من أهم الأغراض الشعرية التي تجلت في موضوعات شعر أبي تمام كوصف الطبيعة، ووصف المعارك وجعلها موضوعا شعريا، لقد كان لأبي تمام في الشعر الوصفي قدرا يعتاد به، فالبعض منها موجود في قصائد مستقلة والبعض الأخر موزع بين مختلف أبواب شعره، ويتفرع وصف أبي تمام إلى فنين رئيسيين، وصف الطبيعة، وصف المعارك:[1]

*** وصف الطبيعة:**

لقد احتفى أبي تمام بوصف الطبيعة ورسم لها لوحات فنية ومزج بين وصفها الحياة، وجعلها موضوعا شعريا نابضا بالبهجة والحياة، فنسجوا الشعراء على منواله.[2]

*** وصف المعارك والحروب:**

وصف أبي تمام المعارك وأجمل ما قاله في بائيته الشهيرة، وبعض أبيات في عرض مدائحه وهذا الشعر يعتبر مثالا للشعر البطولي والملحمي في أدبنا العربي، وأجمل وأروع ما وصف معارك بائية التي تعد موضوعا جديدا في العصر العباسي.[3]

ج- الفخر:

إن يمدح الشاعر نفسه أو أهله أو قومه ثم يذكرهم، ولعله قال أكثره في مصر قبل أن تقبل عليه الدنيا بهمومها.

وقال يفخر بقوله عند انصراف من مصر:

تَصَدَتْ وَحَبْلُ البَيْنِ مُسْتَحْصَدُ شَزَرُ وَقَدْ سَهَلَ التَوْدِيعُ مَا وَعَرَ الهَجْرُ

---

[1] ديوان أبي تمام، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2001، ج2،ص75.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط12، 2001، ص 279.

[3] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط10، ص 490.

بَكَتْهُ بِمَا أَبْكَتْهُ أَيَامُ صَـــــــدْرَهاَ خَلي وَمَا يَخْلُوا لَهُ مِنْ هَوَى صَدْرُ

وَقاَلَتْ أَتَنْسَى البَدْرَ، قُلْتُ تَجَلُدَا إِذَا الشَمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلاَ طلَعَ البَدْر.[1]

د- الرثاء:

يعد الرثاء عند أبي تمام لون من التعبير عميق العاطفة، والجوارح يعبر بها عن حزنه الشديد للميت وتعداد مناقب الفقيد، لقد كان الرثاء عند أبي تمام قليل بالنسبة لمدحه، لكنه عميق العاطفة، وأبرز ما في رثائه شدة إحساسه بفردية الفقيد، وقد توفيت جارية له فرثاها وأبى لوحته ثم انتقد روح عصره الذي كان غير مهتم بموت جارية ولا يحس بحضورها يقول:[2]

هَلْ يَبْكِي الفَتَى بِخَـــــــــــرِيدَة إِذَا مَا أَرَادَ اعْتاَضَ عَشْرَا مَكاَنُهَا؟

وَهَلْ يَسْتَعِيضُ المَرْءُ مِنْ خَمْسِ كَفِهِ وَلَوْ ضَاعَ خز اللَجِينِ بَنـــــاَنَهَا

يرى حنا الفاخوري إن اللذين رآهم أبو تمام في شعره هذا ما لم يرثهم عن قلب مجروح وصادق، فأطلق الشاعر صوته على ما يقتضيه من تفجع وأسف قد يغالي فيهما إلى غير طبيعي.

وقوله:

أَكاَلُ أَشْلاَءِ الفَوَارِسِ بالفَنَـــــا أَضْحَى بهُنَ وَشَلْوُهُ مَأْكُـــولُ

أَنْسَى أَبَا نَصْرُ ؟ نَسَيْتَ إِذَا يَدِي فِي حَيْثُ يَنْتَصِرُ الفَتَى وَيَنِيلُ

هَيَهَاتَ لاَ يأَتِي الزَمَانُ بِمِثْـــلِهِ إِنَّ الزَّمَانِ بِمِثْلِهِ لِبَخِـــــتيلُ

---

[1] الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، ط1، ص634.

[2] عبد اللهين حمد المحارب، أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا، مكتبة الحانجي، القاهرة، ط1، 1942،ص 82.

وَمَشَي إِلىَ المَوْتِ الزُؤَامِ كَأَنَــمَا هُوَ فِي مَحَبَةِ إِلَيْهِ خَلـــــــيلُ[1]

يظهر الرثاء هنا في هذه الأبيات هو أن الشاعر أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي و أله ، حوالي ست مرات ، كان يصور من خلالها مصرعه في كل مرة بصورة تختلف عن سابقتها .

حقا لقد كان أبي تمام من الشعراء المبدعين و المحدثين . استوعب الحركة الثقافية السائدة في عصره من الناحية الفكرية و الأدبية حيث كان نتاجه الشهري وقد طرف أبو تمام كل أغراض الشعر المعروفة في الشعر العربي ، وهو نمو ذ يحتذي الشعراء في كل العصور كما أمتاز به من المعاني القوية و التجارب الإنسانية الصادقة ، كما سنين من خلال دراستا للحكمة أبدءا من البحث في مصادر حكمة موضوعاته.

[1] الخطيب التبريزي ، شرح ديوان بن تمام ص 639

2/-الحكمة وتطورها في شعر أبي تمام:

لقد ظلت الحكم عند العرب تمثل الفطرة السليمة التي تعتمد على البساطة من خلال نظرتهم إلى فلسفة الحياة وتجاربها، إلى أن سقطت الدولة الأموية، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية (132هـ)، "عندئذ انتشرت حركة النقل، وشاعت الثقافات العالمية بين العرب، شاع التفكير الفلسفي، وراح العرب ينقلون الحكم والأمثال من الهنود والفرس واليونان ويضيفونها إلى حكمهم وأمثالهم، مثل ابن المقفع، المعري، أبو تمام، والمتنبي..." [1]ما يهمنا في هذا المبحث أن نتطرق إلى تطور الحكمة في شعر أبي تمام الذي له معان عميقة، وأدلة منطقية والتي تقودنا إلى تسيير فهم البحث عن مظاهر البعد العقلي والفني في حكمه.

يعد أبو تمام شاعر الحكمة في عصره بلا منازع، سئل المتنبي عن نفسه وعن أبي تمام والبحتري، فقال:" أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري"[2] ويقال: " إن أبا تمام كان كالقاضي العدل، يضع اللفظة موضعها، ويعطي المعنى حقه، بعد طول النظر والبحث عن البيئة، أو كالفقيه الورع يتحرى كلامه، ويتحرج خوفا على دينه".[3]، نفهم من هذا القول أن أبا تمام كان شاعر ذو منطق يعطي كل من اللفظ والمعنى حقه وفي موضعه لتأليف المعاني ونجد كل هذا في قصائده الشعرية.

ويقول الأمدي:" صار كثير مما أتى به من المعاني لا يعرف، ولا يعلم غرضه منها، إلا من الكد والفكر، وطول التأمل، ومنه لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس".[4]

---

[1] محمد عزام، مصطلحات نقدية من التراث العربي، وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص192.

[2] ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر، ت ح د: أحمد الحوفي و د: بدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطباعة، ط2، القاهرة، 1973، ص 227.

[3] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت.ج، محمد قزقزان، دار المعرفة، ط1، بيروت، 1408-1988،ص266.

[4] الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ص 125.

من خلال ما تقدم نفهم أن الأسباب التي دفعته إلى ذلك تتمثل في ثقافته الواسعة، وخاصة ثقافته في الفلسفة والمنطق، واعتماده على الحكمة التي تقوم على الإدراك العقلي، إذ أخذ يقيم الحجة ويثبت البرهان حتى لا يترك مجال لأي دارس أن يشكك فيما يقول.

إذن،" لقد طور الشاعر أبي تمام الحكمة التقليدية إلى حكمة هي أقرب إلى الحقائق منها إلى الشعر بطريقة جمالية تعبيرية فنية، وإن كانت تتحدد وتتألف مع صور ذهنية عقلية تقوم على التعليل المنطقي، والأسلوب الفلسفي، والمنافحة لإثبات قناعته، من خلال مشاهداته وملاحظاته في رصد الواقع، والتأمل في الحياة، والتعبير عن طبائع المبشر، وتصوير سلوكياتهم ".[1]

بمعنى أن الحكمة التقليدية هي تلك الحكم التي جاء بها الشاعر وأطلق بها من خلال تجربته، والتي تقوم على الفلسفة والمنطق والبرهان.

كما أن هذا النوع يتمثل في توظيف التراث الذي يعبر عن مدى تغلغله في أعماقه، وتأثيره في انفعالاته، وأثره في ثقافاته، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من توظيف التراث المتمثل بالمثل قوله:

لِكُلِ مَنْ بنَي حَوَاءَ عُذْرُ وَلاَ عُذْرُ لِطَائِي لِنُسِيمِ.[2]

نجد في هذا المثل القائل " جود طيء" يضرب المثل بها لكون (حاتم) و (أوس بن حارثة) ابن لأم منهم، وهما في أية من الجود والكرم، إذ شاهد الناس ذلك الكرم وخبروا جود صاحبه ورأوا عطاءه بالعين والمشاهدة.

---

[1] هاشم مناع، مقالة له في مجلة التراث العربي، العدد101، ص 3.

[2] أبي تمام، شرح ديوان أبي تمام، ضبطه، وشرحه شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ص 495.

وفي قوله:

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأيْتُ مَشِيبُ الرَأْ سِ إلاَ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ

وَكَذَلِكَ القُلُوبُ فِي كُل بُـــــــؤْسِ وَنَعِيمُ طَلاَئِعِ الأَجْسَـــــــــادِ.[1]

يخبرنا الشاعر في هذان البيتان أن ما ألم به من شيب في رأسه حتى تولد من الهموم التي اعترت قلبه وأضعفته، كما إن القلوب تسبق الجسد في التأثر بكل لغيم أو بؤس.

وما دمنا نتحدث عن القلوب نجد في قوله:

وَمِمَا كَانَتْ الحُكَمَاءُ قاَلَتْ لْسَانُ المَرْءِ مِن خَدَمَ الفُؤَادِ.[2]

معنى هذا القول والذي يشير إلى استخدامه حكمة شائعة، تشير إلى أن لسان المرء يتضح بما في قلبه.

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن الشاعر على الرغم من إبداعه في توظيف الموروث، بقدر ما يخدم تفكيره، وموضوع تعبيره، وظل أسيرا لذلك الموروث الذي قيده إذ ظل حبيس النفس، لأن ما أتى به كان قد صدر عن تجارب سبقته وأحداث مرت بغيره، ووقائع مضى عليها الزمان، وبالتالي سخر الأمثال لخدمة موضوعه.[3]

---

[1] المصدر السابق، ص 151.

[2] الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، ص 160.

[3] الثعالبي، تمار القلوب، ت.ح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 201.

يتحدث عن الصبر، ليخلص إلى أن الطاعة والقبول بما قدر الله يوليان الأجر فيقول:

فَصَبْرا فَفِي الصَبْرِ الجَلاَلَة وَالتَقَى وَلاَ إِثْمُ إِنْ خَبَرتُ أَنَكَ جَــازِعُ

فَقَدْ يَأْجُرُ اللهُ الفَتَى وَهُوَ كَـــــارِهُ وَمَا الأَجْرُ إِلا َأَجْرُهُ وَهُوَ طَائِعُ.[1]

يبدو أن فكرة الصبر يجد فيها الشاعر متنفسا، فهي من المعاني الدينية وهذا راجع إلى ثقافته الإسلامية وحفظه للقرآن الكريم.

وقوله:

وَمَنْ قاَمَرَ الأيَامُ عَنْ ثَمَرَاتِهَــا فأَحْجِ بِهاَ أَنْ تَنْجلَي وَلَهَا القَمَرُ

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنُ مَطْلَبي أَسَاءَ فَفِي سُوءِ القَضَاءِ لِي العُذْرُ.[2]

نرى الشاعر من خلال حكمه النصح والإرشاد للناس ككل، بأنه من يراهن الأيام عما نطلع به فلا بد أن تنكل به وتبخسه، فإذا ما خاب في مسعاه الكريم فإن عذره أن القضاء عارضه.

ويقول أيضا:

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بْالأَمْسِ صَادِيا إِذَا مَا سَمَاءُ اليَوْمُ طَالَ اْنهمَارُهَا.[3]

هو يرى الشاعر أنه لا فائدة من نزول الغيث، ولا نفع من انهمار الأمطار إذا كان الإنسان قد مات ظمآن من شدة الصدى والعطش قبل نزولها.

---

[1] المصدر السابق، ص675.

[2] قامر، راهن، ثمراتها، نتائجها وغياباتها، القمر، الغلبة في القمار.

[3] الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، ص884.

أما النوع الثاني من حكم أبي تمام التي أصدرها من خلال تجاربه النفسية وأحاسيسه التي تفاعلت مع تلك التجارب، وهي معان مجردة من الأحداث والوقائع فيها خصائص الحكمة، تخاطب الذهن، وتلامس الإحساس، وبما أنها صدرت على سبيل الحكمة فلا بد أن تتوافر فيها شروط حتى تكون حكمة، من أهمها أن يسلم بها الجميع، ويقروها، لأنها تدعوا -غالبا- إلى الفضيلة والرذيلة.[1]

وهذا جلي في قصيدة أبي تمام التي تظم سبعة عشر بيتا، كلها في الحكمة، اقتطفت منها قوله:

أَلَلعُمْرِ فِي الدُنْيَا تَجِدُ وَتَغْمُـــــرُ وأَنْتَ غَدا فِيهاَ تَمُوتُ وَتَقْبَرُ

وَهَذَا صَبَاَحُ اليَوم يَنعَاكَ ضَوْءُهُ وَلَيلَتُه تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ

تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كَفيـــتَهُ وَتَقبَل بِالآمَالِ فيهِ وَتَدبُـــــرُ

وَرِزْقُك َلاَ يَعْدُوك َإِمَا مُعْجَـــــلِ عَلَى حاَلِة يَوْما وَإِمَا مُؤَخَـرُ

وَلا َحَوْلَ مُخْتَاَلُ وَلاَ وَجْهُ مَذْهَبُ وَلا َقَدْرُ يُزْحِيهِ إِلاَ المُقْـــــدَرُ

لَقَد قَدَرَ الأَرْزَاقُ مْن ْلَيْسَ عاَدِلا عَنْ العَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا يَقْدَرُ

فَلا َتُؤمِنْ الدُنْياَ إِذاَ هِيَ أَقْتِلْتَ علَيَكَ فَماَ زَالَتْ تَخُونُ وَتَدْبَـرُ.[2]

نلاحظ أن هذه الحكم تتوالى دون انقطاع كالسبيل المنهمر، وهي تلامس الذهن بطريقة متواصلة، ولا تعطيه فرصة للتدقيق والملاحظة والمعاينة، تقرع السماع، وتتوالى على الذهن، بيسر والسهولة، وخاصة أن الشاعر يوظف على المعاني الدينية من خلال ثقافته الإسلامية الواسعة، ونجده يلح إلحاحا كبيرا على الموروث الديني.

---

[1] المصدر السابق، ص 250.

[2] الخطيب النبريزي، ديوان أبي تمام، ص 963.

فالأمثلة على هذا النوع التقليدي كثيرة، نكتفي بما أوردناه هنا، فهي تعكس مدى عمق تجارب الشاعر وطول خبرته، ومقدرته على رصد المشاهدات، وتمكنه من تسجيل الملاحظات التي تمرس بها من خلال قراءته للواقع.[1]

أما النوع الأخر من الحكمة عند أبي تمام فهي تتمثل في إطلاقه الحكمة التي صدرت عن طريق تجاربه في الحياة، ونظراته إليها، وبالتالي يصفوها شعرا كما هو الحال في النوع الأول، ولكن هنا يخضعها لإعمال العقل، ويعرضها من خلال أسلوب فلسفي منطقي.

كما جاء في قوله: (من الكامل):

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرُ فَضِـــــــيلَةِ طَوَيْتُ أَتَاحَ لَهاَ لِسَانُ حَسُـــــودُ

لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَارُ فِيمَا جَاوَرْتَ مَا كاَنَ يَعْرَفُ طِينَ عَرَفَ العُودَ

لَوْلا َالتَخَوُفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَــزَلْ لِلْحَاسِدِ النَعْمَى عَلَى المَحْسُـــــودِ.[2]

نلاحظ في البيت الأول يقوم بذاته، فهو حكمة، يجرى مجرى المثل وهو ليس بحاجة إلى إعطاء الدليل، أو إثبات صحة ما يقول، لأنه لو كان عليه أن يأتي بالبرهان لتحول الشعر إلى شعر تعليمي أو علمي عقلي ليس فيه من الشعر إلا الوزن والقافية، ونرى في البيت الأول يدور حول الفضيلة التي نسيت أو اختفت، فسخر الله لسان حاسد، يبحث عنها وينفض عنها على مر الزمان.[3]

والفرق بين البيتين يتمثل في لأن الأول معنوي، إذ أراد أن يقول: إن نار الحسد تثير عرف الأخلاق فيمن حسد، ويتبعها بالبيت الثالث يقول فيه: لولا أن عاقبه الحسد مذمومة معينة، لكان للحاسد النعمة على المحسود، كما نلاحظ في هذه الأبيات الثلاثة أن الأول حكمة افتراضية والثاني: برهان لذلك الافتراض والثالث: نتيجة وخاتمة.

---

[1] ابن الرشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص 980.

[2] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ديوان، ص 473.

[3] ابن نباتة المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ت.ح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1908-1986. ص 327.

لقد ذهب الأمدي إلى أن هذه المعاني من مخترعات أبي تمام، يبعث شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره، واستعارة معانيه، فبدائعه مشهورة، ومحاسنه متداولة، ولم يأت إلا بأبلغ لفظ وأحسن سبك.[1]

نفهم من هذا القول أن أبا تمام شاعر أصيل من فحول الشعر واللغة العربية، استطاع تطويع أدوات البديع والبلاغة، وجودة السبك، وحسن الصناعة البلاغية.

على العموم إن الحكمة التي يوردها أبو تمام في ثنايا قصائده، يبثها في نزعة فلسفية، بأسلوب منطقي، تدعم أرائه، وهذا التطور هو تطور طبيعي، ذلك أن الشاعر يقدم فكرة ذهنية، تعتمد على التجارب في الحياة، قوية في مضمونها، موجزة في لفظها، إلا أنها تقرر حقائق نتيجة لمشاهداته وملاحظاته..فأبو تمام "يذهب إلى ما يملأ الأسماع من اللفظ مع التصنيع المحكم طوعا وكرها، ويأتي بالأشياء ويطلبها بكلفة، ويأخذها بقوة...إذ كان يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره". [2]

كما جاء في قوله: (من الطويل):

وَطُولُ مَقَامَ المَرْءُ فِي الحَيِ مُخَلَقِ لِديبَاجَتِيهِ فَأَغْتَرَبَ تَتَجَدَدُ

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد.[3]

عندما نتأمل في هذان البيتان نرى أن الشاعر يقول لنا أن من طال مكوثه في قوم هان لديهم، وأنفوا منه كالثوب الذي ذهبت ديباجته، وزينته، ورونقه، فإذا اغترب تجدد، ومثله مثل الشمس التي إذا غابت أثارت الشوق إليها في كل غداة.

---

[1] الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ص 124-379.

[2] المصدر السابق، ص 377.

[3] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ت ح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطماش، دار الجيل، ط2، بيروت، 1988-1408، ص 165.

فمن الملاحظ أن البيت الأول حكمة مستقلة تامة قائمة بذاتها، تصلح أن تكون مثلا لشيوعها، وهي مزيج بين قضيتين: معنوية وحسية، إلا أنها تجتمع في مسألة تقريرية، وهي خلاصة التجربة والمشاهدة، ترصد الواقع وتبين العلاقات حينما ربط الشاعر الاغتراب بالتجدد، فالعلاقة بينهما علاقة أبدية، وأنها حكمة تلامس الذهن وتدرك العقل من خلال إخضاعها لعلم فلسفي منطقي، يقوم على المجادلة والبرهان والشعر ليس بحاجة إلى ذلك..وهذا ذكره أبن الأثير أن هذا المعنى مبتدع لم يسبق إليه الشاعر، وغيره كثير.[1]

كما يرى الناقد إيليا الحاوي في معنى البيتين السابقين: " أن ثمة من الإبداعية التي خص بها أبو تمام، وهي تنطوي على ما حد له من الإيحاء والتأليف بين وجه الإنسان ونفسه، وماهيته كلها وأخلاقها، وكان الزمن يعبر كما يعبر بكل شيء، وهذا كله في المعاناة الحسية والنفسية غير مرتجلة، والصورة والفكرة تتناوبان في التجسد والتعبير إلا أن الصورة تظل الأسمى".[2]

نفهم من هذا القول أن الشاعر أبدع في رسم صورة كلية وبديعية تقوم على المعاناة الحسية والنفسية، وتعبر عن الذات بين الصورة والفكرة.

وقوله أيضا:

فإَنْ الفَتَى فِي كُلِ ضَرْبِ مُناَسِبِ مُناَسِبِ رُوحَانِيَةٌ مِنْ يُشَـــــاكِلُ

وَلَمْ تُنَظِمْ العِقْدُ الكِعاَبُ لِزِينَـــــةِ كَمَا تُنَظِمُ الجَمْعُ الشَتِيَة الشَمَائِلُ.[3]

البيت الأول يمثل حكومة افتراضية تدور حول العلائق الروحية التي تؤلف بين ذوي النسب الواحد، والأخر يبرهن الأول ويدعمه ذلك أن الأخلاق المتماثلة تجمع وتألف بين أصحابها، كما تجمع الحسناء حبات العقد وتؤلف بينهما.

---

[1] ضياء الدين أبن الأثير، المثل السائر، ص 23

[2] المصدر نفسه، ص 09.

[3] أبي تمام حبيب الطائي، ديوان، ص 864.

من خلال استعراضنا لهذا المبحث المتمثل في تطور الحكمة في شعر أبي تمام يتبين لنا حقا فارس يمتطي صهوة التعبير الفلسفي المنطقي، بطريقة لا يجاري بها، وبقدرة فائقة على استخلاص وتمثل الصورة الذهنية الفكرية، يأتي بالدليل ويقيم الحجة ويثبت بالبرهان، بطريقة علمية ذهنية نفسية شعورية، أدركها العقل، ووصل إليها عن طريق التجربة العميقة والخبرة الطويلة، تدعمها ثقافات كثيرة منها: الدينية والعلمية والأدبية والفلسفية.

إذن هو بحق شاعر مفكر، ومحلل، مفسر، طور الحكمة التقليدية إلى حكمة هي أقرب إلى الحقائق بطريقة جمالية تعبيرية فنية، ترصد الواقع، والتأمل في الحياة.

3/- موضوعات الحكمة عند أبي تمام:

من خلال تطلعنا لشعر أبي تمام تبين لنا معظمه في الحكمة والنصح والإرشاد التي صاغها في قلب جذاب تنتاب إليه القلوب والعقول، فلقد وجدنا أن الحكمة عنده قد تنوعت فنجد منها: الإنسانية، والدينية والأخلاقية.

1- الحكم الإنسانية:

نقصد بالحكم الإنسانية ما ارتضته كل الأمم واتفقت عليه وفق نظام قيم لا تحدده الحدود الجغرافية ولا الجنس ولا الدين واللون، لقد جاءت الحكمة عند أبي تمام للدلالة على سعة علمه، وكثرة تجواله وسفره، وللدلالة على ثقافة عصره، وإطلاعه على تراث الأولين، حتى جاءت حكمه تشبه المثل السائر.[1]

على العموم شعر الحكمة عند الشاعر تتناول بعمق وإبداع وجوه الحياة الاجتماعية المختلفة من صنوف العلاقات الحسنة كالتعاون والإيثار وحسن الأدب وجميل السمة، ومن صنوف العلاقات السيئة كالحسد والصداقات الكاذبة و هكذا..

ومن شعر الحكمة عند أبي تمام عن الصداقة الكاذبة:

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسُودَ ظَنَكَ كُـــــلَهُ فأَجَلُهُ فِي هَذَا السَوَادُ الأَعْظَمُ

لَيْسَ الصَدِيقُ يَمَنْ يُعَرِيكَ ظَاهِرا مُبْتَسِمًا عَنْ بَاطِنْ مُتَجَـــــهَمِ.[2]

يعني أن الصديق الذي يتحدث عن ظهرك بالسوء أمام الناس ثم يبتسم معك عن باطن القلب، فهذا لا يعتبر الصديق وتسمى بالصداقة الكاذبة.

---

[1] محمد رضا مروة، أبو تمام، عصره، حياته، شعره، ص 148.

[2] أبو تمام حبيب أوس الطائي، ديوان، ت.ج: شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889، ص 490.

قوله عن مواعظ النساك وتأديب العلماء:

كَذَبْتُهُمْ لَيْسَ يَزْهَى مَنْ لَهْ حَسْبَ وَمَنْ لَهُ نَسَبُ عَمَنْ لَـــــــــهُ أَدَبُ

إِنِي لَذُو عَجَبُ مِنْـــــكُمُ أَرَددهُ فَيَكُمْ وَفِي عَجَبَي مِنْ زَهُوكُمْ عَجَبُ

لِحَاجَةَ لِي فِيكُمْ لَيْسَ يُشَبِـــــهُهاَ إِلاَ لِجَاجَكُم فِي أَنَكُـــــــــــم ْعَرَبُ.[1]

وقوله غن الجد في العمل:

بَصِرْتَ بِالرَاحَةِ العُلْيَا فَلَمْ تَرَهَا تَنَالُ إِلاَ عَلَى جِسْرَ مَنَ التَعَبِ.[2]

يؤكد الشاعر هنا أن الرغائب لا تدرك بالسعي والإقدام وأن الإنسان لا يحقق مناه إلا بالجد والكد استجابة لسنة الحياة، ولعل قوة الفكرة في هذا البيت تتمثل في كون تحقيق المبتغى مقرون بالتعب المضني الذي يصل حجمه إلى حجم جسر مثقل بالمتاعب وهنا يدرك القارئ عن طريق العقل الشعور مدى قوة التعب الذي يكابده المرء في سبيل تحقيق مراده.

ومن حكمه قوله في جوهر الحياة الإنسانية:

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقُ وَغَرْبُ لِقاَصِدِ وَلاَ المَجْدُ فِي كَفِ امرُئ وَالدَرَاهِمِ.[3]

الشاعر يؤكد لنا هنا إذ لا يجتمع نقيضان، مال ومعرفة في امرئ واحد.

وفي نفس المعنى السابق:

مَا أَبيضَ وَجْهَ المَرْءِ فِي طَلَبِ الغِنَى حَتَى يَسُودَ وَجْهَهُ في البَيْدِ.[4]

---

[1] المصدر السابق، ص 6.

[2] سراج الدين محمد، الحكمة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت، ص 31.

[3] محمد رضا مروة، أبو تمام، عصره، حياته، شعره، ص 149.

[4] المرجع نفسه، ص 149.

ما دمنا نتحدث عن الرزق والغنى فحري بنا أن نذكر قوله:

إِنَ العَزَاءَ وَإِنَ فَتَى حَرَمَ الغِنَـــــــى رِزْقُ جَزِيلُ لِلَذِي لاَ يَـــــرْزَقُ

هَمَمُ الفَتَى فِي الأَرْضِ أَغْصَانُ الفتى غَرَسْتُ وَليسَتْ كُلَ عامَ تَوَرَقُ.[1]

يتكئ الشاعر هنا على مبدأ الصبر، الذي هو من التراث الديني لأن الصبر رزق جميل لامرئ لم يرزق مالا، ولم يوسع عليه رزقه، وهمم الفتى في الأرض، مثل أغصان قد لا تؤتى ثمارها كل عام.

وفي حكمه أخرى يقول:

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِه وَهُوَ جَـــــــاهِلُ وَيُكْدِي الفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمُ

وَلَوْ كَانَتْ الأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الحِجَا هَلَكْنْ إِذَن مِنْ جَهَلَهن البَهـــــائِمُ.[2]

يرصد الشاعر لنا في البيت الأول سلوك الناس وطبائعهم، وتصرفاتهم، وحياتهم، ويرى ما تؤول إليه كل فئة منهم، ما يناله الفتى من حياته وهو جاهل، وما يمنى به الفتى في دهره وهو عالم، وحكم عليهم بأسلوب منطقي، وأردف بحكمة أخرى تقول: أنه لو كانت المخلوقات تنال رزقها بالعقل لكانت البهائم قد هلكت من جهل عقلها وإقلاله، لأن رزقها على الله.

يقول في إساءة الدهر له: (الطويل):

إِسَاءَةُ دَهرِ أَذَكَرْتَ حُسْنَ فِعْلِهِ وَلَوْ الشَرَى لَمْ يُعْرَفِ الشَهْدِ ذَائِقَه.[3]

يصف الشاعر هنا طبائع المجتمع، من خلال مشاهداته وتجربته، ويضرب مثلا لذلك، يتمثل في العسل لا يعرف حلاوته إلا بمرارة الحنطل، أي لا تعرف الأشياء إلا بأضدادها.

---

[1] الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ت.ح: راجي الأسمر، ج2،دار الكتاب العربي، ط2، 1994، ص484.

[2] المصدر نفسه، ص 503.

[3] المصدر السابق، ص 224.

وقوله أيضا:

وَمَا خَيْرُ حلْمُ، لَمْ تُشْبِهُ شَرَاسَةَ وَمَا خَيْرُ لَحْمُ لاَ يَكُونَ عَلَى عَظَم.[1]

نلاحظ أن الأسلوب الفلسفي والمنطقي في هذا البيت هو السمة البارزة، ذلك أنه يرى أن الرحمة المطلقة، والحلم الخالص في الحياة والصفح المتواصل، لا يجدي ولا يستقيم إلا إذا قابله القوة المطلقة، وشابه المعاقبة السريعة واجتمع معه الغلظة.

ومن حكمه أيضا عن العقل وحسن الرأي:

وَلَيسَ يَجْلَى الكُرَبُ رُمْحُ مُسَدَدِ إِذَا هُوَ لَمْ يُونَسْ بِرَأْيِ مسَدَدِ.[2]

ويقول كذلك: (من البسيط):

مَا يَحْسِمُ العَقْلِ وَالدُنْيَا تُساَسُ بِــهِ ماَ يَحْسَمُ الصَبرُ فِي الأَحْداَثِ وَالنُوبِ

الصبر كاس، وبطن الكف عارية والعقل عار إذا لم يكس بالنشـــــب.[3]

نرى الشاعر من خلال المشاهدة والملاحظة، يفضل الصبر على العقل، ويجعل الصبر الفقير غنيا بقناعته وصبره، أما العقل فلا طائل منه، بل هو بحاجة إلى مال ليستر به عيوبه ونقائصه.

يقول أيضا من الكامل:

لَوْ كاَنَ يُغنَى حَازِمُ عَنْ وَاعِظُ كُنْتَ الغنَي بِحَزْمِهِ وَذكَائِهِ.[4]

يقول الشاعر لنا في هذا البيت، إنه لو أقام الواعظ مقام الحازم الفاعل لاغتنية بما اتصفت به من ذكاء وحزم.

---

(1) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ص 909.
(2) سراج الدين محمد، الحكمة في الشعر العربي، ص 21.
(3) أبو تمام حبليب بن أوس، ديوان أبي تمام، ص 938.
(4) المصدر نفسه، ص 641.

وقوله كذلك من الطويل:

إِذاَ المَرْءُ أبْقَى بيَنَ رَأْييهُ ثُلمةُ تـسَدُ بِتعنِيفِ فَلَيْسَ بِحَازِمِ[1]

يؤكد الشاعر هنا في حكمته أن تحقيق المعالي والوصول إليها لا يكون عن طريق القول الذي لا طائل منه، وإنما يكوم ذلك التحقيق بالعمل الفعلي.

قوله يصف القلم:

لُعاَبُ الأَفَاعِي القَاتِلاَتُ لُعَابُـــــــهُ وَأَرَى الجَبَي اشْتِرَتهُ أَيَدُ عَوَاسِـلُ

لَهُ ريقَة طَالَ وَلكِنْ وَقْـــــــــعَهَا بِآثَارِه فِي الشَرْقِ وَالغَربِ وَابـــلُ

فَصِيحُ إِذَا اسْتنْطَقتَهُ وَهُوَ رَاكِـــبُ وَأَعْجَمُ إنَ خَاطبتْهُ وَهوَ رَاجِـــلُ

إِذَا امتَطَى الخُمسُ اللُطاَفُ وَأفْرَغَت عَليهْ شُعاَبُ الفِكْرُ وَهِي َحَـــــوَاقِلُ

أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ القنَا وَتَعَوَضَـــــتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الخِيَامِ الجِحَـــافِلُ

إِذَا اسْتغَزرَ الذِهْنُ الجَلَي وَأقْبـــلَتْ أَعاَليهِ فِي القَرْطاَسِ وَهِيَ أَسَافِلُ

رأيت جليلا شأنه وهو مرهـــــــف ضَنَى وَسَمَيناَ خُطْبَهُ وَهُوَ نَاحِلُ.[2]

لم تكن الحكمة عند أبي تمام تعالج موضوعا بعينه لا تتعدى غيره فالغزل له نصيب أيضا من الحكمة فيقول:

نَقلُ فؤادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مْنَ الهَوَى مَا الحُبُ إلاَ لِلحَبِيبِ الأَوَلِ

كَمْ مَنْزِل فِي الأَرْضِ يأَلفُهُ الفَتَى وَحَنينَهُ أَبَداَ لأَوَلَ مَنْـــــزِلِ.[3]

---

[1] المصدر السابق، ص 533.

[2] إبراهيم بن عبد الله السماري، أبو تمام شاعر أبدع فأطرب، صحيفة يومية مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر والتوزيع، سعودية، ط1، 2000، ص 3.

[3] أبو تمام الطائي، ديوان، ت.ج، شهين عطية، ص764.

يبين الشاعر لنا أن الحب يطرق القلب لأول مرة وهو خال من أي تجربة سابقة ولذلك تبقى أثاره مزلزلة إياه مؤثرة فيه وراسخة مهما طال الزمن، وتعقبته الهموم لأنها ذكريات جميلة، خففت هموم الحياة في وقتها، وزرعت فيه بذور السعادة والحرية، فالذكريات مهما كانت في هذه التجربة بحلوها ومرها تبقى ملاذا للتسلي، ولذلك فإن الحب الأول هو الحب الذي لا ينسى البتة، مهما مال الإنسان إلى غيره، أي: هو الأول والأخير، أما البيت الثاني يتمثل في أن الإنسان يتعلق قلبه بالمنزل الأول الذي كان فيه مسقط رأسه، وقد نشأ فيه وترعرع، وعاش تلك الطفولة التي لا تنسى، فمهما ألف في حياته من منازل، وسكنها، بسبب رحلاته وتنقلاته على اختلاف أماكنها وأزمانها، فإنه لا محالة سيبقى ألفا لبيته الأول، متعلقا به، بحن إليه، ويتوق إليه صباح ومساء، وهذا من أكبر نعم الله في أنه زرع حب الأوطان المتمثلة في المنازل والديار في قلوب البشر.

وحكمته في العاشق الذي يرى كل شيء يضيره إذا يعد عنه الحبيب

لاَ شَيءُ ضَائِرُ عاَشِقُ فَإذاَ نَأَى عَنْهُ الحَبِيبِ فَكُلُ شَيءِ ضَائِرِه.[1]

قوله أيضا في مطلع بائيته العصماء الذي جاء فيها:

السَيفُ أصْدقُ إنبَاءُ مِنُ الكُـــتُبِ فِي حَدِهِ الحَدِ بَيْنَ الجَدِ والتَـــعَبِ

بِيضُ الصَفاَئِحِ لاَ سُودَ الصَحَائِفِ فِي مُتَونَهنَ جَلاَءُ الشَكِ وَالْرَيبِ.[2]

نجد الشاعر هنا استهل قصيدته مشيدا بالسيف - رمز القوة- والدعوة على الاعتماد عليه والتنديد بالتنجيم والمنجمين، وهذا من الشاعر اتجاه جديد إذ خالف مألوف الشعراء من قبله حين كانوا يفتتحون قصائدهم بالغزل وهو متشبع بالثقافة الإسلامية التي تلغى التنجيم وتدعوا إلى أن الغيب لا يعلمه إلا الله.

---

[1] محمد رضا مروة، أبى تمام، عصره، حياته، شعره، ص 149.

[2] عبده بدوى، دراسات في النص الشعري العصر العباسي الأول، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، د ط، 2008، ص 43.

يقول أيضا: من الخفيف

و َالفتَى مَنْ تُعَرْقَتهُ اللَيَالِي وَ الفَيَافِي كاَلحَيَة النضَاضِ

كُلَ يَوْمٍ لَهُ بِصْرفِ اللَيَالي فَتكَهُ مِثْلُ فَتكِة البَـــــرَاضِ [1]

نجد الشاعر يتكئ على الأمثال المورثة ، وهذا راجع في هذان البيتان ، فكان (البراض بن قيس الكناني) أحد فتك العرب الذين بهم المثل في الفتك ، إذ فتك ب (عروة الرحال) في غير حرب ، حجز حرب الفجار ، التي كانت بين قيس و كنانة ، وشهدتها فريش ورئيسها حرب بن أمية ، وذلك يقال في المثل "فتكة البراض "[2] فأخذ أبو تمام ليعبر به عما يقول في صدره من أن الفتى الجدير هو من يغترب ويهزل في اجتياز الفلوات كأنه حية كثيرة الحركة و الوثوب ويكون له في كل يوم بصرف الليالي فتكة مثل فتكة (البراض).

ومن أشهر ما قيل في المثل "عين القلب " يقول ابن تمام : (من الخفيف)

وَلذَلكَ قِيلَ مِنَ الظُنُونِ حِلِيَة صِدقُ وَفِي بَعضِ القُلُوبِ عُيُوبِ [3]

يشير الشاعر لنا أن حدس القلوب و يقين يكشفان الحقيقة الخفية فكأن في قلوب بعض القوم عيونا ترى وتنبئ بالغد

يقول : من الطويل

وَرَكَبَ كَأَطْرَافِ لأَسِنةَ عَرَسُوا عَلَى مِثلهَا وَ أَلْيْل تَسْطُو غِيَاهِبة

لأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَ صُـــــدورَهُ وَلَيسَ عَلَيهِمْ أَنْ تَتَمَ عَوَاقِبـــــــهُ. [4]

---

[1] الخطيب التبريزي ، شرح ديوان أبي تمام ، ص 343 تعرفته أهزلته التضاض الكثير الحركة و الوثب

[2] الثعالب ثمار القلوب ص 170

[3] الحطيب البريزي ، شرح ديوان أمي تمام ص 606

[4] المصدر نفسه ص 90

يتحدث الشاعر عن مسافرين هزلوا من وعشاء السفر حتى بدوا كالرماح تحولا ، وليل يحدق بهم ، ويغشاهم من كل صور ، وقد ارتحلوا في سبيل أمر قد يتحقق ، وقد ينبو سعيهم فيه ، وفصلهم في أنهم نزعوا إليه ، ولا عاد عليهم إذ قصرت بهم الأحداث عنه

يقول أبو تمام من الطويل :

فإن يك قد نالتك أطراف وعكة فلا عجب أن يوعك الأسد الورد [1]

يوظف الشاعر في حكمته المثل القائل : "داء الأسد" أي الحمى ، لأنها كثيرا ما تغزو الأسد ، حتى إنه قلما يخلو منها ساعة [2]

قوله أيضا :

ذَرِينِي أَنَلْ مَا لاَ يَنَالُ مِنْ العلُاَ فَصَعُبَ العَلاَ فِي الصَعْبِ وَ السَهْلُ فِي السَهْلُ

نريد ين تحصيل المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من إبر النخل [3]

يضرب الشاعر لنا المثل في (ابر النخل) في الوصول إلى المحبوب بمقاساة المكروه ، لكن أبا تمام أخذه ووظفه في المعانة التي يجدها الإنسان في تحصيل المعالي

على العموم نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن الشاعر أبدع في توظيف الموروث وهذا قد صدر عن تجارب سبقته ، وأحداث مرت بغيره ، ووقائع مضى عليها الزمن وهذا الخدمة موضوعة ، ويطبعها بطابعة الفني.

لقد تعددت الحكم الإنسانية عند أبي تمام، وهذا ما كان جلي في قصائده، وقد تمكن من ترسيخ بعض هذه القيم في المجتمع كالمعاملة الحسنة والإحسان إليهم.

---

[1] أبو تمام حبيب بن اوس الطائي ديوان ص230 (الورد الأحمر)
[2] الثعالبي ، ثمار القلوب ص 383
[3] الخطيب التبريزي شرح ديون أبي تمام ص 507

2- الحكم الأخلاقية: نقصد بالحكم الأخلاقية هي كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، ومع نفسه وعلاقته مع غيره من بني جنسه.

لقد تعددت الحكمة في هذا المجال كمكارم الأخلاق والقناعة..وكل هذه انبثقت من تقواه وروعة الشاعر.

يقول أبي تمام في حُسْنِ الخُلُق:

إِذاَ جَارَيتَ فِي خَلقِ دَنِيـــئا فَأَنْتَ وَمَنْ تَجارِيهِ سَوَاءُ

رَأَيْتُ الحُرَ يَتَجَنَبُ المَخاَزِي وَيَحمِيهِ عَنْ الغَدرُ الوَفَاءُ

وَمَا مِنْ شِدةِ إِلاَ سَيَـــــأتِي لَهاَ مِنْ بَعْدِ شَدتْهَا رَخَاءُ

لَقَدْ جَرَبتُ هَذاَ الدَهْرُ حَتـــى أَفاَدتنِي التَجاَرُبُ وَالعَنَاءُ

إِذَا مَا رَأسُ أَهْلُ البيـــتَ وَلَى بَدَاَ لهَمْ مِنَ النَاس الجفاَءُ

يَعِيشُ المَرءُ ماَ اسْتحْياَ بِـــخيرُ وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقَى اللَحَاءُ

فلاَ وَاللهُ مَا فِي العَيشِ خَيـــرٌ وَلاَ الدُنيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ

إِذاَ لمْ تَخْشَ عاَقِبةَ اللَيـــــاَلِي وَلَمْ تَسْتَحِي فاَفعَلِ مَا تَشَاءُ

لَئيِمَ الفِعلُ بِمَنْ أَمسَى وَأَصبَحَ أَمَرَهُ تِبعا لأَمْرِ الدُودَةِ الشُعَرَاءُ.[1]

الشاعر هنا ذو نفس أبيةّ، مترفعة عن الصغائر، حيث يدعو إلى ضرورة الترفع عن الوضع الديني وعدم مجاراته في سلوكه يدل على النزول إلى وضعه.

قوله أيضا عن مكارم الأخلاق:

فَلَمِ أَجِدْ الأَخْلاَقِ إِلاَ تَخَـــــلُقا وَلَمْ أَجِدْ الأَفْضَالُ إِلاَ تَفَضُلا

[1] أبو تمام حبيب بن أوس، الديوان، ت.ح: محمد عبده عزام، ص306.

صَلاَحُ أَمْرَكَ لِلأَخْلاَقِ مَرْجَعَة فَقَوْمُ النَفْسِ بِالأَخْلاَقِ تَسْتقِيمَ.[1]

يحث الشاعر هنا عن فضل الأخلاق في صلاح الأمور، وأن هذه الأمور لا تستقيم إلا في مقاومة النفس وهذا راجع إلى حسن الخلق.

وقوله عن القناعة:

مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وَهُمُومَهُ رَوْضُ الأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولاً

لَوْ حَازَ سُلْطَانُ القُنُوعِ وَحِكْمَهُ فِي الأَرْضِ مَا كَانَ القَلِيلَ قَلِيلاً. [2]

يخبرنا الشاعر أن القناعة مرعى الإنسان وأنها من شيم عزمه وإرادته، وأن السلطان لو حاز في حكم الأرض بالقناعة ما كان القليل قليلا بمعنى يرى الأشياء إلا بالقلة ولا يطمع في المال.

3-الحكم الدينية:

أ- الصبر: يقول الشاعر:

وَإِذاَ رَأَيتُ أَسَى امْرُئ أَوْ صَبْرِهِ يَوْمًا فَقَدْ عَايَنْتَ صُورَةَ زَائِهِ.[3]

نجد الشاعر يتكئ من المعالي الدينية وهذا من خلال ثقافته الإسلامية الواسعة وحفظه للقرآن الكريم وهو يلح إلى الموروث الديني، ونجده يتحدث عن الصبر ليخلص عليه من الطاعة والقبول، وأن عقل الإنسان يتبدى عبر ما يظهر من أسى أو صبر.

ب- وقال في العطاء: وأشار في ذلك إلى أي من القرآن الكريم، من سورة الشورى:

---

[1] أبو تمام حبيب أوس الطائي، ديوان، ص 586.
[2] إبراهيم عبد الله السماري، أبو تمام، ص 3.
[3] الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تما، ص 641.

الودُ للقُرْبَى، وَلكِنْ عِرفُهُ للأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ.[1]

ج- يقول الشاعر عن حتمية الموت:

العُمْرُ فِي الدُنيَا تَجِدُ وَتَعَـــــمَرُ وَأَنْتَ غَداً فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَـرُ؟

تُلَقَحُ آمَالاً وَتَرْجُو نِتَاجَـــــــهَا وَعُمْرَكَ مِماَ قَدْ تَرْجِيهِ أَقَصَرُ

وَهَذاَ صَبَاحُ اليَوْمَ يَنْعَاكَ ضَوْؤَهُ وَلَيْلَتَهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعــرُ

فَلا بُدَ يَوْمِيًا أَنْ تَصِيرَ لِحُـــفْرَةِ بِأَثْنَائِهاَ تَطْوَى إِلَى حِينَ تَنْشُرَ.[2]

لقد سبق وذكرنا بأن أبا تمام شاعر أجاد كثير في الحكمة وتعددت موضوعاتها عنده وهذا ما شاهدناه من خلال استعراضنا الحكم في شعره، وان صبغة الأمثال والحكم استمدها من الثقافات الأخرى ووظفها بلغة كانت سمة سائدة في شعره، وهو شاعر ذو خصائص فنية راقية ومعان بديعية رائعة من دقة الوصف وجودة السبك وحسن الصناعة والبلاغة، وقد أحسن استعمال المقابلة والطباق والجناس.

بالتالي هو شاعر الحكمة بلا منازع كانت له القدرة على تزيين التعبير بفنون البديع والبلاغة.

[1] محمد رضا مروة، أبو تمام، عصره، حياته، شعره، ص 151.
[2] أبو تمام حبيب أوس الطائي، ديوان أبي تمام، ص 598.

من خلال تناولنا تجليات الحكمة في الشعر العربي " أبو تمام" نموذجا ،يمكن أن نجمل أهم نتائج بحثنا فيما يأتي

لقد استعمل الشعراء شعر الحكمة في الشعر العربي " أبو تمام" نموذجا ، يمكن أن نجمل أهم نتائج بحثنا فيما يلي:

لقد استعمل الشعراء شعر الحكمة كوسيلة للتعبير عن تجربتهم و شخصياتهم الاجتماعية و الدينية.

كانت الحكمة في العصر الجاهلي وليدة حوادث الدهر و تجارب لا وليدة العلم الصحيح و التفكير العميق.

أما في العصر الإسلامي كانت تستمد من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و أقوال الصحابة و التابعين.

ثم جاء العصر العباسي المعروف بعصر الانفتاح واندماج الثقافات الدخيلة بالثقافة العربية فانعكس هذا التمازج إيجابيا على العقل العربي مما أدى إلى ازدهار الحياة الأدبية و امتاز الأدباء في هذا العصر بالأصالة و الإبداع و التجديد في الشعر.

ومن بين هؤلاء الشعراء الذين استهرو بالحكمة في آنذاك العصر يسعى بنا الذكر الشاعر "أبو تمام" الذي تناولته في موضوع بحثي.

فلقد استوعب أبو تمام الحركة الثقافية السائدة في عصره من الناحية الفكرية و الأدبية،حيث كان يزاوج بين العقل و الحس ، و يعبر عنهما تعبيرا زخرفيا ، و يمزج بين الثقافات و ألوان الشعر مزجا طريفا.

و لما كان البحث يتمحور حول شعر الحكمة في نتاج الشاعر و لنظراته للأخلاق و المجتمع، و كذا لطموحه الفياض الذي لا تحده حدود ، و أنه عبر عن وجهة نظره في الدين و الدنيا و الجمال و القبح و المال و غيرها من ذالك القضايا التي استلهم منها خبرته بالحياة

و الأيام و على وجه الإجمال إن حكم أبي تمام لم تكن لتؤلف فلسفة ذات منهجية نظرا لكونها جاءت شذرات مستقلة و متقطعة لا تنتظم في موضوع واحد ولا تستقل بباب مخصوص من أبواب شعره غير أن هذا لا ينقص من أهميتها فهي تميز بكونها وليدة الوجدان و العقل معا، فهي تزخر بالمعاني الدقيقة ، و تنضج بالعاطفة ، و تزدهي بالإيقاع الموسيقي المنتظم ، الأمر الذي جعلها تجمع بين قوة الإقناع و جمال الامتناع، فظلت سائرة مذكورة تنطق بالألسنة الحدثان و تتكلم بخاطر كل إنسان و قد ملأت الدنيا و شغلت الناس في عصره وبعده.

و في الختام أرجو أن تكون ثمرة جهدي في هذا العمل قد وصلت إلى ما طمحت إليه منذ بدأ بحثي في دراسة تجليات الحكمة في الشعر العربي أي بخصوص في شعر " أبي تمام" أن ينفع و لو بالشيء قليل في بحوث أخرى و في رصيد أي قارئ.

القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم.

1/ المصادر:

1- الآمدي ,ابي قاسم الحسن بن بشير بن يحيى البصري , الموزانة بين ابي تمام والبحتري ,ت ,ح: محمد يحيى الدين عبد المجيد, مكتبة العلمية , بيروت- لبنان ب.ط,ب.ت.

2-الأصفهاني ,الراغب ,المفردات في غريب القران الكريم ,ت.ح:صفوان,عدنان داودي ,طليعة النور ,ط2,قم ايران,2006م.

3- ابن الأثير, ضياء الدين ,المثل السائر ,ت.ح:احمد الحفوي ,ود:بدوي طبانة,دار النهضة ,مصر للطباعة والقاهرة ,ط2, 1973م.

4-البديعي ,يوسف ,الصبح المنبي عن حيثية المتنبي,ت.ح:مصطفى السقا ,محمد شتا,عبد الزيادة عبده,دار المعارف ,القاهرة ,1994م.

5-الجاحط, ابو عثمان ,عمر ابن بحر ,البيان والتبين,ت.ح: عبد السلام هارون ,مطبعة دار المعارف ,القاهرة.ج3,ط5, 1966م

6-الجرجاني ,القاضي علي بن عبد العزيز,"الوساطة بين المتنبي وخصومه",ت.ح:محمد ابو الفضل ابراهيم ,م.عيسى البابي الحلبي ,مصر , د.ط, د.ت

7-الزوزني,ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين , شرح معلقات السبع ,داراليقظة العربية للتاليف و الترجمة و النشر –بيروت , د.ط, 1969

8- الزمخشري , ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي , أساس البلاغة ,دارالصادر, بيروت , د.ط, 1965م.

9- ـــــــ ، ـــــ تفسير الكشاف , ت.ح: محمد موسى , ج3, دار الملحق, القاهرة, د.ط, د.ت.

10-ابن كثير, اسماعيل بن ضوء البصراوي , تفسير القرآن الكريم, ج2 ,دار الاندلس ,بيروت – لبنان ب.ط,د.ت.

11-الميداني ,احمد بن محمد , مجمع الامثال , ت.ح: محمد محي الدين عبد الحميد , دار القلم بيروت ,د.ط, د.ت.

12-المصري , ابن نباتة , سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون, ت.ح:محمد ابو الفضل ابراهيم ,م.العصرية,بيروت,1408ه-1986م
13-ابن عاشور ,محمد الطاهر , تفسير التحريروالتوزيع ,ج25,الدار التونسية للنشر والتوزيع, تونس, ب.ط, 1984م.
14-ابن العبد, طرفة, الديوان, ت.ح: عبد الله الجبوري , دار بيروت للطباعة والنشر,د.ط 1982م.
15-العبكري, ابو البقاء عبدالله بن الحسين, التبيان في شرح الديوان, مطبعة مصطفى البابي الحلبي و اولاده, مصر,ج4, د.ط, 1977م.
16-العسكري, ابو هلال, جمهرة الأمثال, ت.ح: محمد ابو الفضل ابراهيم ,وعبد المجيد قطماش, دار الجيل- بيروت, ط2, 1408ه-1988م.
17-الصابوني, محمد علي, صفوة التفاسير, م2, دار القرآن الكريم, بيروت, ط4, 1981م.
18-القيرواني, ابواسحاق ابراهيم, زهر الآداب وثمر الالباب, شرح وضبط محمد محي الدين عبدالمجيد, دار الجيل, بيروت- لبنان, ط4, 1972م.
19-القيرواني, ابن رشيق, العمدة في محاسن الشعروآدابه, ت.ح: محمد قزقزان, دار المعرفة- بيروت,ط2, 1408-1988م.
20-التبريزي, الخطيب, شرح ديوان ابي تمام, ت.ح: راجي الأسمر, دار الكتاب العربي, بيروت,ط 2, 1414ه-1994م.
21-التبريزي الخطيب, ديوان ابي تمام, دار الفكر العربي, بيروت' م1,ط1, 2007م
22-أبو تمام, حبيب بن أوس بن الحارث,بن قيس, ديوان, ت.ح: محمد يحى الدين صبحي, م1, دار الصادر للطباعة و النشر, ص.ب 10, بيروت-لبنان,ط1,1997م
23-ابوتمام, حبيب بن اوس بن الحارث, شرح ديوان ابي تمام, ت.ح: شهين عطية ,بيروت- لبنان, ط3, 1424ه-2003م.
24-ابو تمام, حبيب بن أوس بن الحارث الطائي, ديوان, شرح محي الدين صبحي, دار صادر, بيروت, ط2, 2007م.
25-الثعالبي, ثمار القلوب, ت.ح: محمد ابو الفضل ابراهيم, دار المعارف, القاهرة, د.ط, 1985م

المراجع :2/

1 امين ابو ليل ,محمد ربيع ,تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الاول) مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ,ط1,2009م

2- امين احمد ,فجر الاسلام ,دار الكتاب العربي ,بيروت لبنان ,ط10- 1969م

البستاني ,فؤاد افرام , الاخطل ,منشورات ,دار الشرق ,بيروت ,ط6 – 1982م

3-البستاني ,فؤاد افرام, كعب بن زهير ,المطبعة ’بيروت ط6 ,1967م

4-البستاني ,فؤاد افرام ,البيدني ربيعة ,المطبعة الكاثولوكية ,بيروت ,ط9, 1973م

5-جواد علي ,المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ,بيروت ,د,ط- 1965 م

6-جرجي زيدان ,تاريخ اداب العربية ,تقديم ابراهيم صحراوي ,موقع النشر 1993 م

7-هيكل ,محمد حسين ,حياة محمد ,مكتبة النهضة المصرية ,مصر ,ط9, 1965 م

8-حسن حسين ابراهيم ,زعماء الاسلام ,مكتبة النهضة المصرية ,مصر ،د،ط،د،ت.

9-حسين طه ،حديث الاربعاء ، دار المعارف ،القاهرة،ج1،ط1976،12م

10-طلس،محمد اسعد ،"تاريخ العرب " دار الاندلس للطابعة والنشر والتوزيع ج1.د.ط.د.ت.

11-ابو محمد عبد الله بن مسلم ،قتيبة ،دار المعارف القاهرة .د.ط.1967م

12-محمد سامي منير بلاغه الامثال وفصاحة الحكمة ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،دط،1998م

13-محمد سراج الدين ،الحكمة في الشعر العربي ،دار الراتب الجامعية ،بيروت لبنان .د.ط.د.ت.

14-حمد عويس ،الحكمة في الشعر العربي في الجاهلية والاسلام ،المركز الثقافي في الشرق الاوسط ،مكتبة الاسراء ،ط2 ،1994م

15-محمد غرام ، مصطلحات نقدية في التراث العربي القديم ،وزارة الثقافة ،دمشق ،د.ط.1995م

16-محمد الراشيمري،تلخيص السيد محمد الحسين ،منتخب ميزان الحكمة ،مركز الطباعة والنشر ،دار الحديثالثقافية ،ط2، 1422ه-2001م

17-محمد رضا مروة ،ابو تمام عره ،حياته ،شعره ،دار الكتاب العلمية ،بيروت لبنان ،ط1 1411-1990م.

18-ناصر الدين الاسد ،مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،دار الجيل الثاني بيروت ،لبنان ،ط1، 1411ه-1990م
19-الاكوب عسي تاثير الحكم الفارسية في الادب العربي (العصر العباسي الاول) دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق سورية ، ط1 1989م
20-عبده بدوي ،دراسات في النص الشعري (العصر العباسي الاول) ،دار قباء للطابعة والنشر القاهرة ،د.ط 2008م.
21-عبد الحميد عابدين الامثال في الشعر العربي القديم ، جامعة القاهرة ،ديسمبر بيروت.ط2008م
22-عبد الحسن ، الاغراض الاجتماعية في نهج البلاغة ، المكتبة الانجلوسكونية ،ج2،د.ط. 1960م
23-عبد اللهين حمد المحارب " ابو تمام بني ناقديه قديما وحديثا ".م.الحانجي ،القاهرة ط1-1942م
24-عبد المنصور ، عبد الفاتح الامام علي بن ابي طالب ،دار الفكر العربي ، بيروت ،دط،د،ت.
25-عز الدين اسماعيل في الادب العباسي "الرؤية والفن " دار النهضة العربية ،بيروت ،دط،1975.
26-عكاوي ،رحاب الالي الحكم ،دار الفكر العربي ،بيروت ،ط2003،1م
27-الفاخوري حنا ، الموجز في الادب العربي وتاريخه ،م1،دار الجيل بيروت ،طبعة جديدة ومنفتحة ومزيدة ،ط2- 1411ه-1991م
28-الفاخوري حنا –تاريخ الادب العربي –م.البولوية بيروت لبنان ،ط10 ،د.ت.
29-فروخ عمر ابو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله ،دراسة تحليلية بيروت ط1- 2008م.
30-فروخ عمر ،بشار بن برد ،دار العلم للملاين ،بيروت ،د.ط.د.ت.
31-الشكعة مصطفى ،"الشعر والشعراء في العصر العباسي ".دار العلم ،بيروت ،ط1،د.ت
32-ضيف شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط8، 1974م
33-ضيف شوقي ، تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الاول) ،دار المعارف القاهرة ط12- 2001م

34-ابن منظور لسان العرب ، دار المصرية للتاليف والترجمة ،مصورة بولاق عن طبعة بولاق ،ج10- مادة (الحكم) ط4- 1999.
35-مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط ، القاهرة ،دار المعارف ،مادة (الحكم) ، ط2، 1972م.
36-محمد اسماعيل ابراهيم ،معجم الالفاظ والاعلام القرانية دار الفكر العربي ،د،ط 1998 م.
37-ابن فارس الزكريا ابو الحسن احمد ، معجم المقياس اللغة ، ت ح : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ،دار حياد الكتب العربية ، مادة حكم) ، ط1- 1366 ه
38-فيروس ابادي قاموس المحيط ،دار العلم للجميع ،بيروت ، ج 4،دط ،د،ت .
39-رضا احمد ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ،بيروت لبنان ،مادة (حكم) 1958

3/ الرسائل الجامعية:

- آل غالب علي رضا، الحكمة الهندية في الأعصر العباسية، لاسالة ماجستر، جامعة زاد الإسلامية، أبادن – إيران 2005م.

4/ الصحف و المجلات:

- أبو تمام شاعر أبدع فأطرب، صحيفة يومية مؤسسة الجزيرة الصحافة و الطباعة و النشر، السعودية، العدد: 10552، ط1، 1422ه،2000م

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
مقدمة	أ
المدخل	
1 ـ شعر الحكمة في العصر الجاهلي	2
2 ـ شعر الحكمة في العصر الإسلامي والأموي	8
3 ـ الحكمة في العصر العباسي الأول 132هـ - 334 هـ	12
الفصل الأول: الحكمة في الموروث العربي	
المبحث الأول: الحكمة في معاجم اللغة العربية لغة واصطلاحا	17
ـ مواضيع ودلالة الحكمة في القرآن الكريم	22
المبحث الثاني : تطور مناهل الحكمة في الشعر العربي	25
أ ـ مناهل الحكمة في الشعر الجاهلي	25
ب ـ مناهل الحكمة في الشعر الإسلامي	29
المبحث الثالث: أنواع الحكمة ومصادرها في العصر العباسي	33
أ ـ الحكمة ومصادرها في العصر العباسي	34
ب ـ محطات العلوم والحكمة لدى الشاعر العباسي	39

الفصل الثاني: الحكم في شعر أبي تمام (دراسة تحليلية)	
المبحث الأول: نبذة عن حياة أبي تمام	42
أ ـ مؤلفاته	44
ب ـ أغراضه الشعرية	45
المبحث الثاني: الحكمة وتطورها في شعر أبي تمام	50
المبحث الثالث: موضوعات الحكمة عند أبي تمام	59
أ ـ الحكم الإنسانية	59
ب ـ الحكم الأخلاقية	67
ج ـ الحكم الدينية	68
الخاتمة	71
قائمة المصادر والمراجع	74